الدم في الحدائق

شعر

محمد مهران السيد

حسن توفيق

عز الدين المناصرة

« صمم الغلاف الفنان أحمد مرعي »

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

مقدمة

بقلم الدكتور عز الدين اسماعيل

هذا الديوان يضم ثلاثة أصوات شعرية لثلاثة من شباب الشعراء الذين درجوا فى ميدان التجربة الشعرية الجديدة على أرض ممهدة ، فقد تحددت كثير من معالم هذه التجربة قبل أن يقتحموا اليها الميدان ٠ ومن جهة أخرى فان قصائدهم التى يضمها هذا الديوان ليست هى أول خطواتهم على طريق هذه التجربة ، فقد سبق لكل منهم أن نشر قدرا لا بأس به من القصائد ، مجموعة أو مفرقة ٠ ومن ثم يفترض المرء أنهم قد أفادوا من تجارب الآخرين السابقة الى جانب الخبرة الشخصية التى اكتسبوها من خلال الممارسة ٠

لقد صار للتجربة الشعرية الجديدة الآن رصيد هائل ومتنوع المشارب من نتاج الشعراء فى مختلف الأقطار العربية ، ولكن طبيعة هذه التجربة تفترض دائما أنه مهما تعاظم هذا الرصيد يظل الباب مفتوحا لاستقبال المزيد ، لا المزيد الذى يضاعف الكم ، بل المزيد الذى يضيف الجديد ٠

ترى أنكون الآن مبالغين اذا توقعنا فى هذا الديوان اضافة جديدة ؟

ان أقل ما يمكن أن نقنع به من ديوان جديد هو أن نلمس فيه نفسا شعريا متميزا ، له رصيده الخاص من التجربة ، أعنى النوعية الخاصة التى تميز تجربة الشاعر • فكل عمل شعرى أصيل هو فى جوهره مغامرة واقتحام ، يقوم بهما شاعر فرد له مكوناته النفسية وقدراته الخاصة على النظر والرؤية والاستيعاب والنفاذ ، والعمل الشعرى ليس سوى معلم على طريق المغامرة الدائبة المستمرة ، سوى لحظات من الراحة يستعيد فيها المرء الوقائع النفسية لمرحلة سابقة ، ويستجمع فيها كيانه لاستئناف الشوط الأبدى •

على أن العمل الشعرى فى ذاته هو مغامرة ، من حيث انه اطار خاص من التعبير يراد به أن يعطى مرحلة من مراحل التجربة والمعاناة الممتدة الى غير نهاية مغزى خاصا • وقد تؤدى حالة الانبهار بالرؤية الجديدة لدى الشاعر الى استكشاف الوسائل التعبيرية الجديدة التى يصنع منها ذلك الاطار • وعندئذ تستكمل المغامرة التى يكشف عنها العمل الشعرى ـ رغم جزئيتها ـ شكلها الفنى والمعنوى • ومن ثم تصبح كل قصيدة جديدة يقولها الشاعر عملا متفردا ، ينتمى الى نفسه بقدر انتمائه الى عالم الشعر الكلى •

وهذا الديوان الذى بين أيدينا الآن يضم لكل شاعر من الشعراء الثلاثة الذين اشتركوا فيه قدرا من القصائد كافيا للكشف عن معالم تجربة كل منهم ، عن نوعية هذه التجربة من حيث هى معاناة خاصة ، ومغامرة شخصية متفردة ، وعن بعدها الفنى بوصفها مغامرة فى مجال الشكل بقدر ما هى مغامرة فى مجال المضمون • فالى أى مدى تعد ـ أو يمكن أن تعد ـ هذه القصائد التى قالها كل من الشعراء الثلاثة نفسا شعريا خاصا ومتميزا بكل ما تتضمنه هذه العبارة من معنى ؟

هناك حقيقة أولية ينبغي الالتفات اليها فى شأن هذا الديوان، وهي أن الشعراء الذين اشتركوا فيه هم متعـــاصرون ، بل ينتمون تقريبا الى جيل فني واحد · ولعل هذا كان مبررا للجمع بين قصائدهم في ديوان واحد ، ولكن تعاصرهم الزمني والفني له أكثر من مغزى · فهم ــ رغم ما قد يكون من اختلاف ظروف حياتهم الخاصة ــ يعيشون تحت وقع ظواهر وظروف خارجية مشتركة · وربما كان تقاربهم في العمر وفى الثقـــافة له كذلك مغزاه ، فهم يستقبلون هـــذه الظواهر ويعيشون هذه الظروف بمنطق لا بد أن يتقارب فى كثـير من الأحيان ، فاذا أضفنا الى كل هذا أنه تربط بينهم صلات شخصية وثقافية كان هذا كافيا لأن نتوقع في نتاجهم وجوها من التوافق ــ ــ ولا أقول الاتفاق ــ تؤكد انتماءهم الى جيل واحد ، يعيش فى اطار ظروف خارجية مشتركة ، ويستقبل الاشياء بمنطق متقارب · ثم يأتى بعد ذلك تخالفهم الذى ينتمى أو يرجع أساسا الى نوعية المغامرة التى يغامرها كل منهم ، والى مدى قدرة كل منهم على الاقتحام والرؤية والكشف ، بحيث تصبح قصـــائد كل منهم ــ رغم كل توافق أو أو تقارب ــ نفسا شعريا خاصا ومتميزا ·

ولنبدأ بوجوه التقارب أو التوافق التى تميز كثـــيرا من نقط الانطلاق لدى شعرائنا الثلاثة ، فتميز بذلك وجوه الاشتراك بينهم في استقبال الظواهر ومعاناة الأشياء الخارجية بمنطق متقـــارب · والحق انهم فى هذا القدر المشترك ينتمون الى مرحلة من العمر مر بها قبلهم شعراء آخرون وسيمر بها بعدهم غيرهم · وليس معنى هـــذا أن الواقع الخارجى نفسه لا يتغير ، حتى تتفق الاجيال المتعاقبة من الشعراء على رؤيته بنفس الطريقة ، فالواقع يتغير دائمـــا ، ولكن

الفترات المتشابهة من حياة الشعراء فى أجيالهم المختلفة تجعلهم ـ فى الغالب ـ يرون الأشياء ويعانونها بمنطق متقارب ٠

ولنوضح هذا من مواقف الشعراء فى أجيالهم المتعاقبة ، أولئك الذين أسهموا فى قيام حركة الشعر الجديدة وفى انمائها وتطويرها ٠ فمن الواضح أن هناك منطلقات شعورية ومعنوية اشتركت فيها هذه الأجيال جميعا رغم تعاقبها على التجربة ، ولكن كل جيل أو كل شاعر من جيل بعينه كان ما يلبث أن يتجاوز تلك المحاور الشعورية والمعنوية الى أرض جديدة هى من كشفه الخاص ٠ وبذلك أصبحت هذه المحاور معلما على مرحلة بعينها فى حياة الشاعر الفنية المتطورة تنتمى الى هذه المرحلة أكثر من انتمائها الى الواقع الخارجى ٠

ومن هذه المحاور الشعورية والمعنوية المألوفة محاور الحزن والملل والتبرم بالحياة والضياع والغربة وبطلان الكون وكل ما فيه وفقدان الثقة فى الناس والأشياء وافتقاد الطزاجة والبكارة فى كل ما تمنحه الحياة وتتيحه التجربة ٠ فهذه المحاور استغرقها الشعراء جيلا بعد جيل حتى أوشك البعض أن يتهم الشعر الجديد بوقوعه فى آفة الدوران حول نفسه ٠ ولكن النظرة المستوعبة تؤكد ـ سبق أن قلنا ـ أن هذه المحاور هى فى أغلب الأحوال مرحلية ، ينطلق بعدها الشعراء الى عوالم أخرى من كشفهم ، تتيحها لهم التجربة والممارسة المستمرة ، كما يفرضها نضجهم وتطورهم الخاص ٠

ومن ثم ينبغى ألا ندهش عندما نجد كثيرا من قصائد شعرائنا الثلاثة التى يضمها هذا الديوان تدور ـ بشكل أو بآخر ـ حول تلك المحاور المألوفة المرصودة من قبل فى أشعار الأجيال التى سبقت ٠

ولنستعرض الآن معا كيف تمثلت تلك المحاور الشعورية والمعنوية لدى شعرائنا الثلاثة • وقبل هذا ينبغى التنبيه الى ضرورة ألا تغيب عن أذهاننا حقيقة أن دوران الشاعر حول محور من هذه المحاور أو مجموعة منها لا يعنى بالضرورة أنه يكرر ما سبقه أو ما يقوله غيره، فما تزال هناك دائما فرصة لبروز الصبغة الشخصية التى تلون الرؤية بلون خاص وتكسبها مذاقا خاصا •

وأول ما يستوقفنا فى هذه المجموعة الشعرية محور « الحزن » وللعلاقة بين الحزن والشعر قصة طويلة ليس هنا مجال استقصائها ويكفى أن نتذكر هنا الحقيقة الأولية البسيطة التى تجعل من الحزن مفجرا عظيما للطاقة الابداعية • وكذلك ينبغى ألا ننسى أن الحزن ـ بوصفه محورا شعوريا وشعريا ـ قد يبرز أمامنا فى العمل الشعرى بشكل موضوعى مباشر ، كما قد يكون مجرد خلفية أو أرضية للموضوع الشعرى •

ومن ثم نجد الشاعر الأول فى هذه المجموعة يحدثنا فى قصيدته الأولى « توطئة » حديثا مباشرا عن الحزن • ففى المقطع الذى يحمل عنوان « تلخيص » يحدثنا الشاعر عن مصدر حزنه ، وكيف أنه نشأ فى بيت من اللبن ، خشن فى مظهره ، كئيب فى داخله ، لا تنيره سوى ذبالة ضعيفة ما تلبث أن تذوى فيخيم ليل من العتمة والقتامة لا مجال فيه للعواطف السعيدة المترفه • فهو اذن حزن قد تولد مع النشأة ، لأن كل ما أحاط بها كان بلون الحزن :

بنيتى ••

من قاعها نبت كالصبار اختزن

ليل النجوع ، حزنها الثقيل •• والمحن

فالحزن أول الطريق ..

والحزن ينحت الرجال ، يكسب العيون حدة البريق

ويبتني الجسور كيما يعبر الألم .

وهنا تستوقفنا عبارة « فالحزن أول الطريق » . فكأن الشاعر يؤكد بهذه العبارة حقيقة أن الحزن مفجر عظيم لطاقة الابداع ، وأنه المعطى الأول لأن يصبح الشاعر شاعرا . ولكن اذا كان الحزن هو أول الطريق فانه ليس نهايته . انه مجرد مرحلة انصهار تكتسب خلالها الحواس أقصى قدر من فعاليتها ، ثم يكون بعد ذلك الانطلاق الى آفاق الحياة الأخرى .

ترى هل يصعد بنا هذا الاستنباط الى تقرير حقيقة أن الحزن هو مبدأ الحياة ، وأنه بمثابة الجذور التى تغذى كل فروع الشجرة مهما تشعبت واستطالت ؟!

على كل حال كان هذا الحديث عن الحزن مباشرا ، ولكننا حين نجده يغلف تجارب شعرية أخرى ويضفى مسحته عليها يكون لدينا وسيلة أخرى لتفهم حقيقة أن « الحزن أول الطريق » .

فالشاعر الثانى فى هذه المجموعة لا يحدثنا عن الحزن من حيث هو حديثا مباشرا ، ولكن نغمة الحزن تتخلل معظم قصائده ، حيث يلون الحزن تجاربه ورؤاه .

يقول فى قصيدته « الذبول » :

ما زلت فى الدنيا الحزينه

ارنو الى آفاقها .. روحا تجدف فى سأم

وتحس بالظل الطويل ، ترى الألم

أمنية من أمنيات الروح تعصرها الضغينه

تلقى بها تحت القدم

والليل قد سكب النعاس على الشوارع فى المدينه

فالحزن هنا وشاح ينبسط على آفاق الحياة وينعكس لونه على روح الشاعر فلا يرى فى الحياة ـ حين يرى ـ الا صورا حزينة . والحقيقة أن هذا الوشاح الحزين ـ كما أدرك كل الرومنتيكيين ـ انما هو من صنع الشاعر نفسه . فالحزن اذن ليس مبدأ الحياة فى ذاتها ، ولكنه مبدأ ادراك الشاعر للحياة من حوله ادراكا شعريا .

وحين نتأمل قصائد الشاعر الثالث نجد نغمة الحزن كذلك تتسرب خلال معظم مقاطعه . ويكفى أن أشير هنا الى المقطع الاول من قصيدته الأولى « قفا نبك » ، فهو يطفح بشعور الاسى ، بل لعلنى لا أبالغ حين أقول ان موسيقى هذا المقطع أسيانة تعكس قدرا غير يسير من الشجن .

فالحزن اذن قد يكون موضوعا شعريا مباشرا كما قد يكون اطارا عاما لغيره من الموضوعات . وهو فى كلا الحالين لا يعدو أن يكون أول مرحلة من مراحل الطريق . وليس من الافتئات على الحقائق فى شيء أن نسمى هذه المرحلة ـ حتى فى اطار التجربة الشعرية الجديدة ـ المرحلة الرومنتيكية من حياة الشاعر .

وحين أقول هذا لا يغيب عن ذهنى أن وصف الرومنتيكية فى هذه الحالة ينسحب على قصائد هذه المجموعة جميعا ، بل هذا ما أود أن أقرره . ألم أقل منذ البداية ان هؤلاء الشعراء الثلاثة يمثلون مرحلة واحدة لها أبعادها العامة المشتركة ؟!

وما يقال عن محور الحزن يقال بالمثل عن المحاور الأخرى • لأننا ــ حين ندقق النظر فى هذه المحاور ــ لا يصعب علينـــا ادراك انها جميعا تدور فى فلك الحزن ، تستمد منه وتغذيه فى الوقت نفسه ، شأن كثير من الظواهر البيولوجية • فالملل والتبرم بالحياة والشعور بالضياع والغربة وبطلان الأشياء ٠٠الخ ، كلها محاور ترتبط بالحزن وتتبادل معه التأثير والتأثر • انها بمثابة المفردات أو الوقائع الحية التى تترجم الحزن ترجمة عملية •

فاذا كان شعراؤنا يدورون ــ بطريقة أو بأخرى ــ حول هذه المحاور ، على اختلاف بينهم فى كمية الدوران وفى عدد المحاور التى يدورون أو تدور أشعارهم حولها فان الانصاف يقتضينا ــ فى الوقت نفسه ــ أن نلم بأبعاد التجربة التى تعكسها لنا قصائد كل منهم ، حتى نتعرف على ما قد يكون هناك من تباين بينهم تفرضه خصوصية التجربة آخر الأمر • ونحن بهذا انما نستهدف الاجابة عن سؤالنا القديم : الى اى مدى تعد قصائد كل من الشعراء الثلاثة نفســـا شعريا خاصا ومتميزا ، وذلك رغم ما هنالك من اتفاق أو توافق للخلفية العامة لأشعارهم جميعا •

ونبدأ من البداية بمجموعة الشاعر محمد مهران السيد • ولعله من الطريف أن نلاحظ اشتراك هذه المجموعة مع المجموعتين الأخريين فى ميزة عامة هى توافر عنصر التكامل بين قصائد كل مجموعة على حدة ، مع تفاوت يسير بين هذه المجموعات الثلاث فى مدى هـــذا التكامل • وهذه الخاصية ــ خاصية التكامل بين قصـــائد المجموعة الشعرية الواحدة ــ تمثل ظاهرة فنية عامة فى دواوين الشعر الجديد حتى لقد صارت بعض هذه الدواوين ــ فى أشد حالات تكاملها ــ

تبدو للقارىء كأنها قصيدة واحدة • وهذا من شـــأنه أن ييسر على القارىء الالمام بأبعاد العالم الشعرى أو ـ لنقل ـ بأبعاد التجربـة الشعرية العريضة الممتدة فى قصائد الديوان •

وحين نتأمل فى مجمـوعة الشـــاعر **محمـد مهران** تتقاطع أمامنا أربعة خطوط محددة أبعاد الرؤية الشعرية التى تمثلها هذه المجموعة • والخط الأول هو خط الحزن ، والخط الثانى هو خط الضياع والغربة ، أما الخط الثالث فخط البطلان ، بخاصـة بطلان تجربة الحب ، وأما الخط الرابع والأخير فخط الخلاص •

وقد سبق أن عرفنا مصدر الحزن الأول لدى شاعرنا ، واقتناعه بأن الحزن أول الطريق ، بأنه الضرورة اللازمة لانصهار الانســـان وتصفية جوهره وتجلية مرآة قلبه ، حتى يرى نفسه ويرى الاشياء من حوله رؤية دقيقة وعميقة • وهذا الخط الأساسى يعود فيعكس نفسه بطريقة غير مباشرة على الخطوط الثلاثة الأخرى • فخط الضياع والغربة يعكس لنا مرارة أحزان دفينة وعميقة •

فى المقطع الثانى من قصيدة « فقرات من مذكرات مبعثرة » يقول الشاعر : •

صاحبتى ••

وككل نهار

يحملنى الدرب الأحدب •• ابحث عن نفسى

فى كل الأشياء أنا الانسان

وأجيل الطرف فما ارتعشت فى وجه صافحنى شفتان

او غرست فى أعماقى بذرة شوق عينان

أحجار الغربة قد رصفت حتى أصغر ميدان ٠

وككل مساء

تجرفنى الظلمة ، تلقينى فى زاوية الحانة

أتطلع للأعين تقفز للخارج خلف نساء تتجنب اعمدة النور

فيئن بصدرى القاهر والمقهور

وأدير الى الحائط وجهى

اتملى ظلى المشطور

وفى هذا المقطع يحدثنا الشاعر عن رحلة البحث عن النفس ، والاحساس بالغربة المتولد عن الشعور بالوحدة وسط الوجوه غير العابئة ٠ فالوجود الانسانى انما يتحقق من خلال العلاقات والوشائج التى تربط بين الانسان والآخرين ، وبينه وبين الأشياء من حوله ، فتنشأ نتيجة لذلك مشاعر التآلف التى تجعل للوجود الانسانى مغزى ٠

ولما كانت هذه المعانى قد صارت مألوفة لدى كثير من الشعراء فان ما يلفتنا هنا هو أن شاعرنا قد أكسبها طزاجة من خلال بعض الجزئيات التى اختارها لتجسيم مشاعره ، كالدرب الأحدب ،وأحجار الغربة التى رصفت كل ميدان ، وإدارته وجهه الى الحائط كى يتأمل ظله المشطور ، فهذه العناصر تكسب التعبير عن شعور الضياع والغربة الذى استهلك أو كاد طزاجة وجدة ٠

ولكن يحق لنا هنا أن نتساءل عن حقيقة هذا الشعور بالضياع والغربة ٠ هل الناس حقا غير عابئين ، وهل حجارة الميدان حقا غريبة ، أم أن هذا الشعور قد تولد نتيجة لعدم القدرة على التكيف مع الناس ومع الواقع الخارجى ؟

في قصيدة « وسادة من خشب » نجد تجسيما من خلال الحكاية والتوظيف الرمزى لها للصراع بين الرؤية والتجربة الصوفية (المحورة الى التجربة الشعرية) وبين الواقع المادى الخارجى·فأهل القرية قد رفضوا « رؤية » الشيخ ، رفضوا قبول الدخيل وكرهوه · والشيخ الصوفى نفسه هو الذى يقول فى قصيدة « ثم ماذا ؟ » :

·· دنياكم عاهرة ملتها السرر البيضاء

صارت مدخنة للتبغ المصنوع بلا ترخيص

حانة خمار أعور

يتربع فوق كراسيها الليلة بعد الليلة رهط الأغراب

لا يعرف أحد فيهم جاره

وهو نفسه الذى قال قبل ذلك مباشرة ، موجهـــا الخطاب فى تساؤل الى جمع الشباب الذين ذهبوا الى حضرته :

الهتكم كثرتكم عنا ؟

أم جلد الليل المشدود حديثا والكيمياء ؟

هذا التعارض اذن بين الرؤية الصوفية والواقع العملى هو مايفسر لنا شعور الغربة والضياع فى عالم الناس والأشياء ·

ثم يأتى الخط الثالث متكاملا مع هذا الخط ، حيث يبرز أمـــام الشاعر « بطلان » عالم الناس والأشياء · وقد ركز الشاعر فى ابراز هذا البطلان على تجربة الحب ، سواء أكانت تجربته الخاصة أم تجربة الآخرين · ففى المقطع المسمى « تلخيص » من قصيدة « توطئة » يقول الشاعر :

جميع ما قالوه فى الهوى كذب

الحان هذا العود تجلب الصداع

والدف يزرع الأرق

وكل ما سمعت كان واضح النشاز

هذا فيما يختص بالآخرين ، بزيف ما يقولون وكذبه وبطلانه ، بزيف مشاعرهم وبطلانها ، حتى عندما يصوغونها فنا وأنغاما .

أما فيما يختص بالشاعر نفسه فانه يحدثنا فى قصيدته «ولكل وجهته» عن لقائه محبوبته ، وجلوسهما فى مقهى يشربان الشاى ، وتبادلهما البسمات ، ومرور الزمن :

مر الوقت ولم نقطع شبرا فى الدرب

لم نتقدم او نتاخر

رغم نضال الكلمات

واستبدلنا الألفاظ باخرى

وبدانا أكثر من مرة

ولجانا لاشارات الأيدى

واخذنا نتذكر الف علاج للأزمات

لكن لا جدوى

فهناك مسافات ومسافات ومسافات

والجسر تهاوى وتهدم

لا يحتمل اللمس ولا همس الخطوات

واهتزت أيدينا ـ هذى المرة ـ لكن فى خوف

ومضينا ٠٠ ولكل وجهته ٠٠

لم نتلكأ ، لم ينظر أى منا للخلف ٠

وفى المقطع الثالث من قصيدة « عن الحب والمدينة » يحدثنا الشاعر عن الحب الذى ولد مشوها بينه وبين صاحبته ، يحمل آثار أصابعهما الشائهة :

واستبشعنا ـ بعد فوات الوقت ـ جريمتنا
فأشحنا عنه ، وأنكرناه

وتلفتنا مذعورين

مذعورين نغير وجهتنا

٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

أعطى كل منا الآخر ظهره

وتسربنا بين الناس المنكفئين على الذات

البطلان والزيف والكذب ، حتى فى العواطف الانسانية ، هى ما تجعل الواقع قاسيا ، وتحول بذلك دون التوتر السليم بين الذات وبينه ، وتولد بالضرورة شعور الغربة والضياع ٠

وأمام هذا التعارض الحاد بين الرؤية الصوفية أو الشعرية وبين الواقع الخارجى ، أو بين الذات والموضوع يبرز موقف الاختيار فارضا نفسه بالحاح ، اذ كيف اذن يكون الخلاص ؟

وقد كان الشاعر منسجما مع نفسه حين اختار الشعر موئلا له

من كل هذا العذاب وهذا التمزق ، فما دام قد تحقق له عدم قدرته على التكيف مع ذلك الواقع على البطلان والزيف والكذب فان البديل الطبيعي عندئذ هو عالم الشعر ، عالم الصدق ، وعالم الحقيقة ، ففيه السلوى وفيه العزاء • ومن الطريف أن الشاعر قد جعل هذا الاختيار على لسان كلمات لأمه توجهها اليه ، فهى تنهى هذه الكلمات بقولها :

فتشبث ••

لا تفلت من يدك الشعر !

هذه ـ بصفة عامة ـ هى الصورة المتكاملة للتجربة الشعرية التى يتيحها لنا تأمل مجموعة الشاعر **محمد مهران السيد** • فكيف تبدو الصورتان الأخريان ؟

حسن توفيق ، صاحب المجموعة الشعرية الثانية فى هذا الديوان ، شاعر حزين كذلك ، سواء تحدث عن الحزن أم عن أى شىء آخر • فالحزن هو الاطار العام الذى يضم قصائده ، ويعكس على تجربته الماثلة فيها لونه • انك تحس به من خلال هذه القصائد يتمزق ، لأن شيئا ما بداخله يصطدم كل يوم بسكين الواقع • ان روحه ينزف ويكاد يذوى ويذبل ، ويوشك الشاعر أن يفقد أشواق الحياة •

والتجربة المطروحة فى قصائد هذه المجموعة لها صفة التكامل مهما تنوعت وتوزعت جزئياتها • ان لها محورا دراميا واضحا لا يخطئه المتأمل • فالسلام والأمن غير مستتب بين روح الشاعر وواقع الحياة الخارجى ، بل ان كل ايجاب يغلفه سلب ، سواء فى الواقع النفسى أو الواقع الخارجى •

لننظر مبدئيا فى عنوان القصيدة الأولى للشاعر : « الدم فى الحدائق » ، وهو العنوان الذى اختـــير للديوان كله لندرك معنى التجاذب بين الموجب والسالب ، بين الجميل والقبيـــح ، بين المشرق والقاتم • ثم لنتذكر عبارته فى قصيدته « شجن » حيث يقول : « النور كفنه الأنين » ، حيث تتأكد لدينا طبيعة رؤية الشاعر للأشياء رؤية درامية • فدم البلبل الحانى الذى سال على الحدائق ، والذى أبصر به الشاعر فارتاع له ، هو صورة تطابق ـ فى تحليلها المعنوى النهائى ـ الأنين الذى كفن النور ، والعكس كذلك صحيح •

والواقع أن قصائد هذه المجموعة تنويعات مفصلة على هذه الرؤية الدرامية •

لنقرأ معا قول الشاعر فى قصيدته « من ليالى الفراغ » :

وعند المسير يرانا القمر
نحرك ذكرى دفينه
فيضحك كيما نمد اليه البصر
فيلقى الينا بنبع السكينه
ولكننا نستفيق
على صوت روح حزينه
وقلب ببحر المآسى غريق

رماد على كم شيخ عجوز
يصيح بنا : « لا تمدوا البصر

الى وجه هذا القمر

فما من كنوز

لديه

وما من أثر

لنسمة نور

ترف عليه

وهذا رنين النهايه

يقربنا من تراب القبور

وفيه الكفايه

فهنا نجد القمر يحاول أن يسكب من نوره فى روح الشاعر ما يجلب له الأمن والسكينة ، ولكن الروح المعذب يتجسم فى زى شيخ عجوز ينكر على القمر دعواه ، وتبرز أمامه النهاية الحزينة التى تفقد كل شيء فى الوجود مغزاه : الموت ، وهى نهاية كافية لأن تبدد كل أمن وسكينة ٠

وفى نهاية هذه القصيدة تتبلور هذه الرؤية الدامية فى صورة مركزة تأتى بمثابة تتويج لكل التفصيلات التى ضمتها القصيدة ، فيقول الشاعر :

أهذا زمان السكينه ؟

أهذا زمان القمر ؟

رياح لعينه

تحطم كل الشجر ٠

وفى قصيدة « شجن » يتابع الشاعر نفس الرؤية ويمتد بها ، متعقبا ما قد يتخلف عنها فى النفس من آثار قد تصل الى حد الجنون ٠ والقصيدة فى مجموعها تكرر وتؤكد فكرة ضياع الزمن المشرق فى غياهب الأسى الملم ٠

ثم يعود الشاعر الى هذه الرؤية الدرامية فى قصيدته « حكايا الظلال » فيضفى عليها مزيدا من التحدد ، وبخاصة فى المقطع الثانى من القصيدة ٠ فنحن حتى الآن ما زلنا فى حيرة من أمر هذا التعارض الذى يحول دون استمتاع الشاعر بالحياة ٠ انه حقا قد يقدم الينا مبررات لذلك من الشعور بالغربة والوحدة ، والضياع والملل ، ولكن يظل تساؤلنا عن موطن الاحساس بهذا التعارض ـ رغم كل هذه المبررات ـ قائما وفى قصيدة « حكايا الظلال » يتحدد موطن هذا التعارض من وجهتين متكاملتين ٠ فمن جهة يكشف لنا الشاعر عن استقرار أصل هذا التعارض فيما هو مصطلح عليه من التعارض بين المعنوى والحسى ٠ يقول الشاعر فى المقطع الثانى من هذه القصيدة :

تعلمت يوما

وحين عرفت صنوف القراءه

وجدت الشهى فى عيون النساء تشق الحجر

فعانقت هما

وأطفأت كل شموع البراءه

وفح الظلام فكاد يحجر روحى الضجر ٠

فالمعرفة هنا تصطدم بالشهوة فتولد الهموم وتبعث الضجر ؛ انها مأساة « فاوست » القديم ٠

ومن جهة أخرى يرتد هذا التعارض الى المواجهة العنيفة بين الرؤية الباطنية للشاعر من حيث هو فرد والاطار الجماعى الذى يتحرك فيه ، بين صدق هذه الرؤية وأصالتها وزيف هذا الاطار وكذبه • يقول الشاعر فى المقطع الرابع من القصيدة نفسها :

مشيت مشيت

وعبر الشوارع حين انتبهت

لمحت الأسى فى عيون البشر

وومض المحبة يخبو وشيكا كغيمة صيف

وكان الزحام كسيل المطر

واحسست انى – برغمى – أواكب موكب زيف

تشتت ذهنى

وغام بقربى ضجيج الزحام

وخيب ظنى

نداء تنشقت فيه السلام •

وهكذا يتوازى ويتكامل مصدرا التعارض الذى يولد هموم الشاعر وأحزانه ، بل لعلهما – فى التحليل النهائى لهما – مصدر واحد •

على أننا فى قصيدة « حكاية النعامة » نبصر بالشـــاعر وقد وسع من دائرة ذلك التعارض بين الوجدان الفردى والواقع الجماعى حين جعل هذا الواقع يستوعب الانسان فى كل من الأرض • فهذا الواقع الرحب يتضمن عناصر مأسوية فادحة فى تأثيرها ، مانعة من

استشعار أى متعة على مستوى الوجدان الفردى • فالشاعر يجلس مع محبوبته يتضاحكان ويستشعران السعادة ، ولكن هذه السعادة ما تلبث أن تتبخر حين ينطلق المذياع متحدثا عن « هانوى » والقنابل والطفولة المفزعة :

مؤشر المذياع يستدير ، أسمع

أغنية عن النجوم والقمر

حالمة ترعش فى قلبى الوتر

وبعدها أروع

أسمع أن الأم فى الهند تبيع طفلها

من أجل كسرة من الخبز بلا مذاق

أسمع أن غيمة التجربة الذرية القوية العصب

تبسط ظلها ••

وهكذا لا بد أن يلحق الفشل بتجربة الحب ، لأن واقع الانسان العالمى قد صار يفرض نفسه بالحاح على الوجدان الفردى ، فلم يعد من المستطاع استشعار الفرد أى متعة شخصية والاستغراق فيها بعيدا عن هموم الانسان ــ كل انسان ــ فى كل مكان من العالم •

ان الوجدان الفردى لم يعد قادرا على عزل نفسه عن الوجدان الجماعى ، وأيما استمتاع شخصى بالحياة يظل محاطا باطار من واقع ذلك الوجدان الجماعى • وهذه هى دراما عصرنا •

هل هناك من مخرج ؟

سؤال يطرحه الشاعر على نفسه ولكن جوابه ما زال غير حاسم ، لأنه ــ حين أجاب ــ كان ما يزال يتساءل :

ماذا اذن

لو أنني حطمت مرآتي التي عكست طيوفا من هنائي

ونفضت وهم الروح في صخب الشوارع

وهربت من دوامة الأفكار من بعد التنائي

وازحت عن قلبي الزوابع

كي لا تعود الى سمائي

بعد انطوائي

ماذا اذن ؟

ماذا اذن ؟!!

لعل الشاعر **حسن توفيق** أن يعرف الجواب في المستقبل ٠

ثم ننتقل الآن الى مجموعة الشاعر **عز الدين المناصرة** ٠ ومع أن هذا الشاعر وافد على القاهرة من الضـــفة الغربية للأردن فان السنوات الست أو السبع التى قضاها فى القاهرة قد تركت بصمات واضحة على تجربته الشعرية ٠ فقد عاش ليالى القاهـــــرة وعرف مقاهيها العتيقة حيث تلتقى جماعات الشباب المثقف ، وربطته ببعض هؤلاء صلات صداقة ، وانعكس كل ذلك على تجربته فاطل من خلالها وحش الشعور بالضـــياع ، ذلك الوحش الذى يفترس كثيرا من الشباب المثقف ، ويحدد نظرته الى الحياة والأشياء ، وقصيدة الشاعر التى تحمل عنوان « المقهى الرمادى » تحمل كثيرا من التفصيلات والوقائع النفسية التي تشكل صورة الشعور بالضياع والغربة ٠ يقول عن المقهى ورواده :

عندما نأتيه نصطاد السويعات اصطيادا

عندما نسعى اليه

تهتف الغربة فى الأعماق تزداد عنادا

أيها السارون فى منتصف الليل وفى أعينكم

ظمأ للدفء فى أحضان مقهى

لتعبوا من صفاء الليل كأس الحزن مكرورا معادا •

ثم يعود فى المقطع الرابع من هذه القصيدة فيقول :

أول الليل أجر الخطو •• لا تدرين أين

نحو مقهى أشرب الأحزان من جدرانه قرب « الحسين »

هذا المقهى الذى :

كللت حيطانه خضر الطحالب

ونسيج العنكبوت

كل ما فيه يموت

وهذا ما يتكرر كل ليلة ، بل قد يتكرر فى الليلة الواحدة ، والتكرار ثقيل وممل ، فضلا عن أن هذا الذى يتكرر ليس شيئا حبيبا فى حقيقته الى النفس أو مسعدا لها ، بل هو على النقيض ، يعمق شعور الحزن والأسى ، لأن كل ما فيه كئيب يذكر بالنهاية التعسة ، « كل ما فيه يموت » •

وقد سبق أن أشرنا فى بداية هذه المقدمة الى اشتراك شاعرنا مع صاحبيه ـ بحكم ظروف بعينها ـ فى معاناة التجربة بمنطق

شعورى متوافق ، واشتراكهم جميعا ـ نتيجة لذلك ـ فى الدوران حول عدد من المحاور المعنوية ٠

غير أن هذه المشاركة لم تمنع شاعرنا من أن يكون مخلصا لقضية عميقة الجذور فى وجدانه ، قضية الأرض التى نشأ وسط روابيها ووديانها ، والتى ارتبطت نشأته فيها براية الاعداء مرفوعة فوق أعاليها ٠ لم يكن هناك يوم بيعت الأرض أو يوم استولى عليها الغزاة ، فقد كان حينذاك طفلا صغيرا كل ما يعيه من ذلك أن الجيش السفاح كان :

ينحر سكان البلدة فى عيد النحر

قلعوا عين الزرقاء الفلاحة

خلعوا التين الأخضر من قلب الساحة

حتى اذا شب وأدرك ما حوله وانخرط فى حياة الناس كان كل شىء هادئا ، كانت المأساة قد دفنت تحت تراب الأيام فكمنت فى زوايا النسيان :

وكنا نرقب الأسحار

نصوغ قصائد العنب المعرش فى روابينا

ونكتب أصدق الأشعار

ونزرع شتلة التوت ٠٠٠

فسيلات تمد العنق تحضنها سواقينا

نبل الريق ٠٠ يطفى كلنا جوعه

ولكنا ٠٠

ولكنا ٠٠

نسينا أن عين الحلوة الزرقاء مخلوعه

وأن الراية الأخرى على الأسوار مرفوعه ٠

وهكذا يدين الشاعر نفسه كما يدين الآخرين ٠ انه يحس أن عبء وزر ضخم قد ألقى على كتفيه وان لم تقترفه يداه ٠ وهو فى قصيدته « قفانبك » يؤكد هذا المعنى ، حيث يستغل حكاية الشاعر الجاهلى امرىء القيس حين بلغه نبأ مقتل والده وكان عليه أن يثأر له فقال عبارته الأسيفة : « ضيعنى صغيرا وحملنى دمه كبيرا » ٠ ولكن هذا الشاعر الجاهلى نفسه هو الذى قال فى تلك المناسبة : « اليوم خمر وغدا أمر » ٠ وحول هذه المقولة تدور قصيدة شاعرنا عز الدين المناصرة ، التى تحمل عنوان القصيدة المشهورة لذلك الشاعر القديم : « قفانبك » ، كما تحمل عنوانا فرعيا هو عبارة ذلك الشاعر نفسه : « اليوم خمر وغدا ٠٠ »

وكما وقف الشاعر القديم يبكى ذكرى أحبائه وأيامه السعيدة بين « الدخول » و « حومل » وقفت الفتاة الصغيرة فوق الجسر بين القدس فالوادى السحيق تبكى صاحبها القديم وفارسها المجيد الذى قضى ٠ وكما ظل شبح الملك حجر القتيل يلاحق ولده امرأ القيس يطالبه بالثأر يصحو ضمير الشاعر لكى يطالبه باسترداد ملكه الذى ضاع وأرضه التى سلبت ٠ ولكن الغربة السوداء تحول دون ذلك ٠ وكل ما يملكه الشاعر هو أن يحمل الحمام رسالته الى المحبوب حيث يسقط مهزوما كما لحقت الهزيمة من قبل بامرىء القيس :

يا حمامات السهوب

ابلغى عنى التحيه

قبل موتى للحبيب

داره السمراء شرقي اليمامه
وانا اسقط مهزوما الى يوم القيامه •

وهكذا يصبح الشعور بالهزيمة شبحا مفزعا ومفجعا ، يضيف الى تعاسات الحياة وأحزانها تعاسة أشد وأنكى •

هذه هي قضية شاعرنا الخاصة ، وهذا هو شعوره • وليس من حقنا هنا أن نناقشه ، فقد كان بوسعه أن يرفع الشعارات المألوفة لدى كثيرين غيره من الشعراء ، وأن يصطنع أسلوب الأناشيد الحماسية ، ولكنه آثر أن يكون مخلصا مع نفسه ، أمينا في نقل مشاعره •

وبعد فقد حاولنا في هذه التقدمة أن نتعرف — قدر المستطاع وبقدر ما يتيحه الحيز — على العناصر المشتركة التى تربط بين الشعراء الثلاثة المشتركين فى هذا الديوان ، وعلى التجربة الشخصية لكل منهم على حدة •

واذا كنا فى البداية قد ذكرنا أن الشعر مغامرة معنوية وفنية فاننا نكون بذلك قد ألمنا بأطراف المغامرة المعنوية لهؤلاء الشعراء• أما مغامرتهم الفنية فاننا يمكن أن نلاحظ ان شعراءنا الثلاثة — على تفاوت يسير بينهم — ما زالوا يتمرسون بحرفية الفن الشعرى وان كان ما تحقق لهم من خفايا هذا الفن غير يسير • ومن حقنا أن نتوقع منهم فى المستقبل القريب فتوحات وكشوفا فى هذا المضمار •

د • عز الدين اسماعيل

محمد مهران السيد

- صدر له (بدلا من الكذب) ديوانه الأول فى ١٩٦٧ عن دار الكاتب العربى ٠
- فقد كل أشعاره الأولى من عام ١٩٥٠ حتى ١٩٥٩ نتيجـة لظروفه الخاصة ٠
- حائز على منحة التفرغ لغير العاملين عامى ٦٨ ، ١٩٦٩ ٠
- انجز فى عام التفرغ الأول « مسرحية شعرية » مستوحاة من أسطورة ايزيس واوزوريس ، حيث أضاف للأسطورة بعدا اجتماعيا ، بخلق شخصيات من غمار الشعب ، أخذت مسئولية التغيير على عاتقها ٠

توطئة

(السؤال)

... ما من مرّه
صادفتكَ فيها ، إلا وسألت
كيف الحال ؟
وتدور على عقبيك
نصف جوابى فى أذنيك
والنصف الآخر ..

.. يتدحرج فوق الأسفلت
يا صاحب أيامى .. (الخضراء) ! !
....
كيف الحال !! ؟
ما زلتُ ، وما زال ..
ذاك الخيط الشائك .. يمتد بعرض الطرقات
وإشارات الضوء الحمراء ..
مذ صرخت آمرة : قف
كانوا قد مروا ..
بينى والأضأل شأنا .. خطوات ! !
وتخلّفتُ عن الصف ! !

●

(تعريف)

.. وكان بيتنا على الطريق .. صندوقاً من اللبن
مضعضعاً ، يكاد ينكفىء
ونورنا ، ذبالة تئن

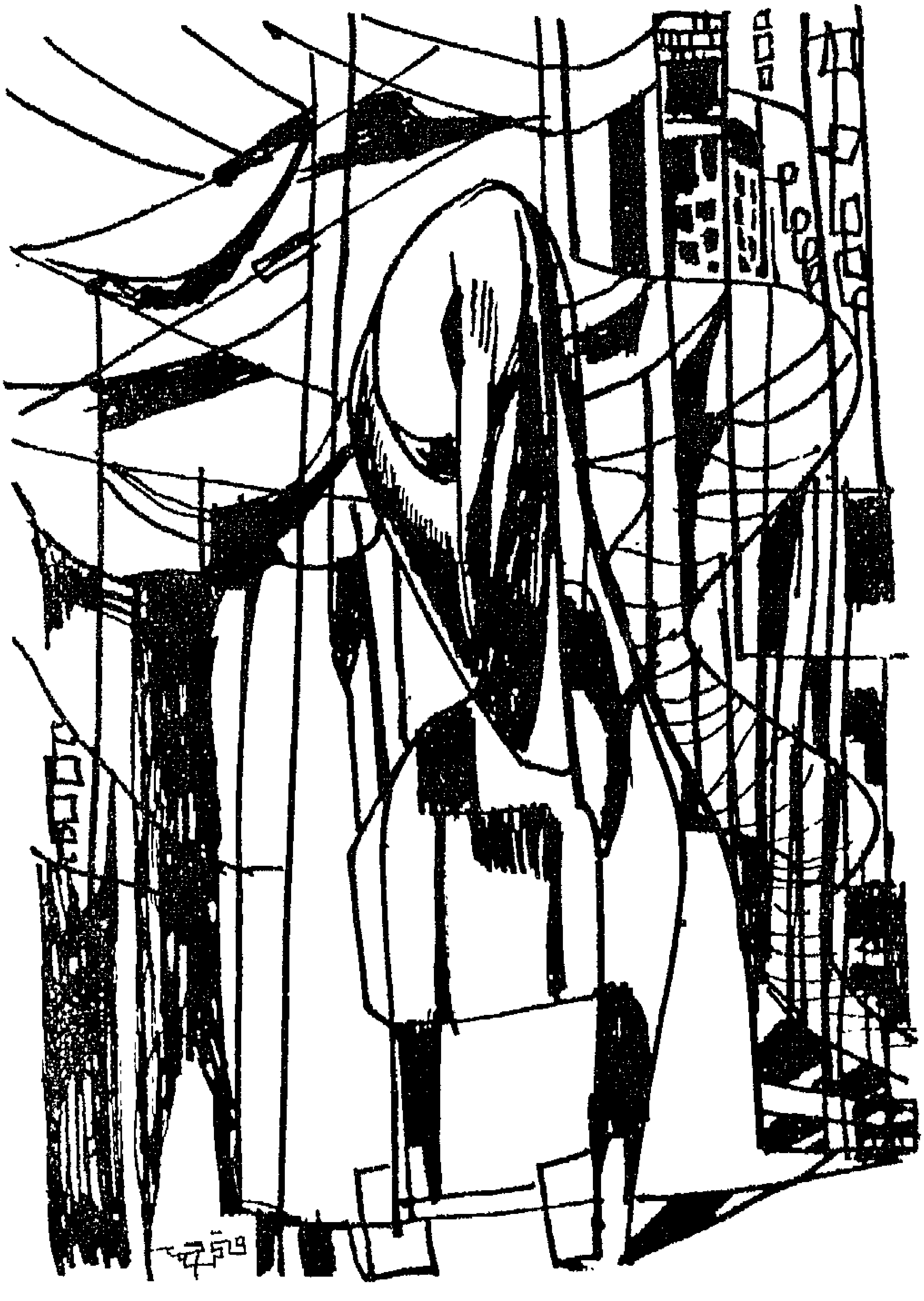

تمص زيتها القليل .. ثم تنطفىء
ومثل هذه البيوت ، لامتاع يزحم الأركان فيها..
– لا قدور للعســل

وطبعها خشن
وليلها الغليظ ، لا يميل للغزل
لا وقت فيه .. للحنان والقبل

بنيتى ..
من قاعها نبت كالصبار أختزن
ليل النجوع ، حزنها الثقيل .. والمحن
فالحزن أول الطريق ..
والحزن ينحت الرجال ، يكسب العيون حدة البريق
.. ويبتنى الجسور كيما .. يعبر الامل ..

●

(تلخيص)

.. جميع ما قالوه فى الهوى .. كذب
ألحان هذا العود .. تجلب الصداع

والدف ، يزرع الأرق
وكل ما سمعت ، .. كان واضح النشاز
من أجل ذلك ..
.. جربت ما جربت من مسكنات
وأثقلتْ جيبى ، فواتير الدواء
فجرعة مع الصباح ، حبتين فى المساء
وكان دائى .. النزق !! .

نقرات من مذكرات مبعثرة

(١)

ماؤك لا ينقع غلة ظمآن
خبزك لا يشبع جوعان
ورؤاك دوائر سوداء ، تعشعش فى الأركان

●

طوحنى قدرى قوقعة .. فوق الشاطىء ، يحشوها الرمل

تغرسها الأقدام ، ويأتى الماء فيكشفها للريح ، وللبرد ، وللطل
ويحركها خيط لا ينظر ، فى دائرة لا يبرحها الليل

(٢)

صاحبتى ..
وككل نهـــار
يحملنى الدرب الأحدب .. أبحث عن نفسى
.. فى كل الأشياء أنا الإنسان
وأجيل الطرف ، فما ارتعشت فى وجه صافحنى .. شفتان
أوغرست فى أعماقى بذرة شوق .. عينان
أحجار الغربة ، قد رصفت حتى أصغر ميدان . !

●

وككل مساء .. .
تجرفنى الظلمة .. ، تلقينى فى زاوية الحانه
أتطلع للأعين ، تقفز للخارج خلف نساء تتجنب .
ـ أعمدة النور

فيئن بصدرى القاهر ، والمقهور
وأدير إلى الحائط وجهى ...
.. أتملى ظلى المشطور ! !

(٣)

صاحبتى ..
لولاك ، ولولا صوت فى الداخل
يطحن أعمدة الملح بأعماقى

ويغنى حتى فى لحظات الإطراق
لولاكِ ، ولولاهُ
لقطعت الشارع عدواً ، أتعلق كالطفل بيمناهُ
لكن ..
ما زلت أمنى النفس ، وأخدعها ، وأماطل
فأنا ..
.. أهواكِ ، وأهواكِ ، وأهواه

١٩٦٦

وسادة من خشب

لاشئ عنده اسمه الثبات ، والنبات
عطارنا العجوز ، لايبيع غير الكحل ؛ واللبان ؛ والمخدرات
يقول كل ليلة بمجلس القمر
« .. ومنذ أن بلوت حلوها
ومرها
انفقت عمرى الكسيح ، لم أصادق الكتب
فى نخاعها الكذب
ولم أثق

بألف صف قام ، وانكسر
إلا بصاحبي .. أبي نواس

. . . .

لشيخنا النحيل .. كل ليلة حكايه
تلف بعدها الحضور .. أذرع سوداء .. مالها نهايه
لم يلعن الزمان مرة ، ولم ينسب مصيبة إلى القدر
يقول ، نسل آدم .. البلاء والخطر

تعريف :

.. ولم يكن من البلد
نسمع من عجائز البيوت ، أنه مع الظلام والمطر
ألقى عصا الترحال .. « داخل المقام »
وعندما أراد بعضهم سؤاله ، تدحرجت على الحصير رأسه ، ونام

. . .

وقيل منذ جاء
لم يغش مأتماً ، ولا بكى أحد

وعاش بيننا يبيعنا .. الطيوب والمكيّفات
وصار مقصد الرجال ، والنساء

(بعض حكاياته)

البدايه :

وحط فى حجرى .. وكان اخضر الجناح
وقلت أقبلت علىّ .. بعد غيبة ، وأشرق الصباح
وقلت إبلعى الجراح
وقلت فيما قلت .. أشياء ، وأشياء
أقلها ، فدى لك الحياة .. سيدى
وكان أن كبر
وذات يوم ، أغمد المنقار فى عينى ، وطار
(فاصله)
حملت شاهدى ، وكان من خشب
فقد وجدته يقوم فوق قطعة الحصير.. مذ ولدت
وعند ما كبرت

جعلته وسادتى التى ينام فوقها التعب
.. حملته وسرت
ـ ماكنت استقر فى مكان ـ
سيان ، .. سيان

على الطريق :

وكان أن هبطت قرية تبخر اسمها .. مع ..
ـ السنين

فمعذره
أطرق بعدها .. وقال
فقد بلغت أرذل العمر ،
هيــه
هبطت قرية ، قرأت فى عيون أهلها .. حرارة النداء
وقالت العصا ، هنا هنا .. فلا تخيب الرجاء
وقلت : فلتكن إرادة السماء ..
.. وعشت بينهم
. . . .

قالوا ، بأن أرضهم .. قليلة العطاء
سحابهم بخيل
يزورهم ولا يفك صرة من الصرر
أنظر إلى الوجوه ، والبيوت ، والحقول
حتى عصاك مذ قدمت ، قد أصابها الذبول
وأن شيخنا يقول
غداً ستقذف الرياح .. بالثمار ، والذهب
غداً ، يجيئكم بوجهه العجيب . مثل صندوق ثقيل
فلتنصتوا إليه .. مرة ، ومرتين
ولتفتحوا صدوركم له ، وترفعوا اليدين
فقالت الحواس .. «سمسار لتاجر مريب ! !»
وقلت فى العلن ..
.. ألا يكون شيخنا الجليل .. قد أصابه الوهن ؟
فالأرض أينما تكون .. تكره الدخيل
والأرض فيها الماء
والحب ، والزهور ، والغناء

وكل ما تفتشون عنه ، فى مجاهل الدروب
وكان صمت ، مثل أطنان النحاس
ثم هوت .. ماذا ! !
تقول مثلما يقول .. ذلك المخبول ؟
قد قال مرة .. كما تقول ..
فكان أن نبى ؟
فاذهب إليه ، حيث يأكل الجراد ، فى الخلاء
إلى العراء
إلى العراء
وكان أن طردت ذات ليلة ، ممزق البدن

(فاصله)

حملت « شاهدى » .. وكان من خشب
فقد وجدته يقوم فوق قطعة الحصير .. مذ ولدت
وعندما كبرت

جعلته وسادتی التی یموت فوقها التعب
إلخ ..
أظنكم .. تعون ما قد قلت

النهاية :

وقلت فی الطريق .. فلأعد
فقد تجف هذه الجراح ، إذ يمسها الكرام فی البلد
وقد تنام قرحتی .. إلى الأبد
وسرت أسحب الجسد ،
بعثرت أكثر الرصيد ، لا أنا بلغت مطلع النهار
ولا احتفظت بالجلَد
فقد رأيت أننی أدور كالغبار
ولم يدلنی أحد
وها أنا ، وشاهدی الذی جعلته وسادتی التی يموت فوقها التعب
أعطی ، وألعق الزبد .

(١٩٦٦)

ثم ماذا..

ـ ماذا بعد خروج الأصحاب .. من الحانه ؟

ـ نتسلق اكتاف الليل المنتصب القامه ..

ـ حتى .. ؟

ـ حتى نلقى وجه الفجر

ـ أو نعثر تحت فوانيس الشارع . عن دفء

ـ هرأه البرد !!

ـ ما أروعنا فى الحالين غزاة ، نرجع فى أيدينا الصيد

« ضحكات »

– بل ننفق هذا الباقى .. فى مقهى الأمس
.. حيث لصوص الساعات المسروقة ، والنرد
.. وفتوات الأحياء ! !
– بل نعبر بضعة حارات
.. فالليلة .. حضرة سيدنا
.. سيهش ، وتلمع عيناه ، ويمنحنا البركات
يمسح فوق معاطفنا ، نسأل ، تُقضى الحاجات
فالسيد متصل ، يتجول عبر كتاب مفتوح الصفحات
« صمت ينقر أصبعه .. الجبهات »
– اتفقوا ، .. حتى لا ينفرط العقد

....

وانفلتوا ...
– كانوا عصبة طلاب ، فى العشرين –
عبر الحارات الملتوية ، والطين

●

« الصوفى »
.. مرحى ، يا أبناء الأيام المصبوغة بالحناء
نورتم جنبات الحضره
غبتم زمناً ، وسألنا عنكم أكثر من مره
خيراً .. إن شاء الله ! ؟
ألهتكم كثرتكم عنا ؟
أم جلد الليل المشدود حديثاً ؛ والكمياء ؟
« أنظار الفتية .. تهرب فى ألوان الرايات »
.. دنياكم عاهرة ؛ ملّتها السرر البيضاء
صارت ، مدخنة للتبغ المصنوع بلا ترخيص
حانة خمار أعور
يتربع فوق كراسيها الليلة بعد الليلة رهط الأغراب
لا يعرف أحد فيهم .. جاره
لكن ما أسرع .. أن تتناجى الأنخاب
وينام الكأس .. على صدر الكأس
فالعربات ، وراء الباب الدوار .. جواز مرور

والشحم المتكور فى الوجنات .. الشاره
لكن .. لا بأس ..
اقتربوا أكثر .. يا أحباب
ـ نورتم جنبات الحضره ـ
ودعونا نسلم أنفسنا .. للمنشد
ودعوا الأوجاع ، تسكنها .. نقرات الدف .

(١٩٦٥)

بقبلة ودهمين

ـ غافلته على الطوار ، واندفعت أعبر الطريق
وسرت لا ألوى .. على شيء ، ...
أسير خطوة ، يردنى الزحام .. خطوتين .!.!
لكننى أضم سترتى ، وأتقى السقوط
ـ وجهى أداننى
أسلمنى لهم ، بلا شيء
لو اننى عرفت كيف أرسم الخطوط ..

وأنتقى ما يلزم النهار والمساء .. من متاجر المداهنه
أو انني علقته ، ثم نسيته على المشاجب الملونه
.. لما رأوه غائر الشقوق
ولا دُفعت للوراء .. كي يمر فيلق القراصنه
ــ الموت شاهدى الوحيد ! !
عاجوا على الحراس ، يسألون نعمة المثول
أمّا أنا ، .. فخنت قارع الطبول ..
.. وعجت أسأل الجراح والفلول ،
وعدت ، أنكر القريب والبعيد
ــ يلطمنى هنا .. على فكّى
يقول لى .. ، يا أيها الكذّاب .. لمْ تبكى
وانت مجرم أصيل ،
أما خدعتَ مرة ــ ليلى ــ وأهلها الضعاف ؟
أما انفلت من رفيقة الضياع .. فى محطة الوصول ! !
تركتها تدور وحدها ، ولا ترى نهاية المطاف ؟
أما .. ! ! ؟

ما رأضيت أن تشارك الذئاب .. فى الصحاف ؟
ثم خرجت من بيوتها ، لتلعن الخراف ! ؟
آما ركبت صهوة الحروف ، ثم رحت تجلد الكلام
– كى يسير فى الركاب ؟
.. أو كى يصير بهلوانا .. فى البلاط .. ! !
يجيد إن تبرموا ، وفرقعوا السياط ! !
أما خرست فى ملاعب النسور ؟
ألف أما ..
.. يا أيها الحقير ! !

●

... أسلمته إلى الصخور فى النهايه
كما بدأتها ، يعود زورقى الغريب .. للبدايه
من رحلة لم يكتشف بها سوى الجزائر النفايه
سحبته على الرمال .. مجهداً يقيء
يحك جلده المليء .. بالبثور
يود لو يقوض الأساس ، يقلع الجذور

وينفض الحكايه ،
فلم تكن هناك .. فى الطريق
سوى المعابر التى تضيق ! !
.. يسدها الفساد .. باليدين
وألف ألف .. حارس هناك ، لا يفيق ؛
.. ومن تبيعنى .. بدرهمين ! !
ومن يبيعنى .. لقاء قبلة امرأة ! !
فأين ما يقال ... عن .. ! ؟
وأين أين ـ ضالتى ـ القرى ، وناره المضوئة ! ؟
(١٩٦٨)

ماذا قاله الليلة الماضية

(١)

ما أنت بحيٍّ ..
هم ، شنقوك .. بُنَيَّ
لكن الموت بهذا الزمن المخضوب الشفتين
قد يترك رأسك هذا ، يتأرجح أعواماً .. فوق الكتفين

(٢)

ولدى ..
يا ولدى الرائع .. فى الحالين
لم أتعلم حرفاً ، مذ قطع الحبل ..جوار الفرن
لكن العمر العاطل من أسباب الأمن
علمنى .. ،
علمنى أن السور الواطئ .. تقفزه حتى القطط العمياء ! !
علمنى .. ان الضحكة أقصر عمراً ، من كل الاشياء ! !
علمنى .. ،
وسقانى الألف الى الياء
ولذا ، وهن القلب .. ولاكته الادواء
وتركت البيت مساء
يتوكأ نصفى المشلول .. على الحى
أغلقت الباب على أشيائى ، وتركت الحى
قبل مجيئك .. ، من أرض الغربه

(٣)

معذرة ، .. لا تغضب
لا تحسب أملك .. جامدة القلب
إسأل عنى ، زاوية الحجرة ، فنجان القهوة ، والرّب
لكن خمنت ، وها قد صدق الظن !!
أو لم أجهر .. ، أن العمر العاطل من أسباب الأمن
علمنى ؛
.. قالت أيامى الآسنة الملقاة على الدرب
إنك ستعود غريبا ينكرك الكل
رواد المقهى ، ليسوا سمار الأمس
رحل الجيران تباعا ..
.. والجدد الغرباء ينامون .. إذا طاف العسس المستيقظ
ـ فى الليـــــل
أما الأهل !!
...... !!

(٤)

إغفر لى ضعفى ، أو هذا الجبن

.. يا واحد عمرى العاطل من أسباب الأمن

(٥)

إن كان الزبد الأسود ... قد غطاك إلى الرأس

لا تعتب ، .. واشرب خلف جدار الصمت .. الكأس

ـ وراء الكأس

وتجشأ ، حتى لو أورق فى داخلك المر

فهناك .. الماضى والحاضر .. سيدهم

هذا السوط .. سيجلدهم

ويمزق أجفان الاغضاء .. ويأمرهم

فتشبث .. ،

.. لا تفلت من يدك .. الشعر .

(١٩٦٦)

ولكل وجهة

واهتزت أيدينا فى شوق ، وارتعشت تذكر ما فات
وتجمّع عمرٌ ، فى لحظات
الصاحب للصحاب ، .. حتى لو مرّت سنوات

●

ملنا نحو المشرب
وسحبنا كرسيين .. جلسنا .. وطلبنا الشاى
وانسابت فى العقل الباطن .. آلاف الجزئيات

وتبادلنا البسمات
ما أجمل أن تجمعنا الصدفة ، فى أى مكان وزمان
فتهب على القلب الموحش .. كالليل ، حكايا .. ما
ـ كانت فى الحسبان

●

عجباً
قالتها نفسى فى صوت .. مُر
لكن ما لبثت أن ئنت : ما اكثر ما ندهش فى هذا العصر

●

مر الوقت ، ولم نقطع شبراً فى الدرب
لم نتقدم ، أو نتأخر ! !
رغم نضال الكلمات
واستبدلنا الألفاظ بأخرى
وبدأنا أكثر من مرّه
ولجأنا لإشارات الأيدى

وأخذنا نتذكر ألف علاج .. للأزمات
لكن لا جدوى ..
.. فهناك مسافات ، ومسافات ، ومسافات
والجسر تهاوى ، وتهدم ..
لا يحتمل اللمس ، ولا همس الخطوات

●

.. واهتزت أيدينا – هذى المرة – لكن فى خوف
ومضينا ، .. ولكل وجهته ..
.. لم نتلكأ ، لم ينظر أى منا .. للخلف !! .

(١٩٦٨)

أماهم..

(وعلى مشارف الصحراء .. فى طريق العوده ،
نفض الشاعرعن كاهله .. غبار سنوات الضياع والعمى)

(١)

كنا .. ما زلنا غرباء
ما زالت أصداء الصحراء
حتى ألوانك . ياهاجرتى ، تقطرُ فى قلبى ..صفراء !!

(٢)

بالأمس ..
يا قمرى الشارد .. من سنوات خمس
لملمت ضلوعى ، ومضيت
حاذيت النيل ، وغنيت ،
.. غنيت الجميز على شاطئه الممتد
والتوت الأسود ، والرمّان
ومآذن ، تحرس فى الليل نجوع الخلان
أحبابى ، ونجوم الغد ،
ولدى ... عينيك .. مع الفجر وقفت
مسحت كفى عن مفرق شعركِ .. قطرات الطل
وشربت دموعاً .. تنزف من عين الفل
وكما لم يركع أحد ، .. من قبل
عفّرت جبين الشعر الوضاء

فرحاً باللقيا ، وعناق الأصحاب
والبسمات الحلوة ، ترتسم على العتاب
وبآلاف الاشياء
مكتبتى ، عربات اليدّ ، ورائحة الأسواق
وبأسراب عصافير الجنة أطفالك ..
نوار بساتين الصيف
وبآلاف الاشياء
بالاسفلت ، ضجيج المترو ، والعطر الراعش تحت الاهداب
قبل الزوجة ، فوق رصيف قطار مزدحم بالعشاق
وتشابك أيدى الاحباب
بأبى الهول .. يحدثنى تحت الاضواء
وبآلاف الأشياء
بعيون ما زالت قدراً مجهولا .. ، ستغنينى الحب
أغنية خضراء ، تعرّش فى شرفات القلب
وبآلاف الأشياء

(٣)

ومضيت ..
مهرى أعوام خنق الصبار الجاثم فيها الحب

(٤)

.. وإذا بى فى جُبٌّ
لم يتقدم أحد لعناقى
لم يجذب أنظار المارة .. فانوس الاشواق
وإذا كل شوارعك الممتدة سور
أسوار لم أعهدها .. من قبل
تصدمنى ، .. فأدور
أغمض عينى ، أفتحها .. لا شىء سوى الاقفال
ومن الاقفال .. تطل وجوه .. تحمل آلاف العاهات
... حتى أبوابك والشرفات

قد ختمت بالشمع الأحمـــر
ووراء الشمع الاحمر .. تتنفس جثث الاموات
حيث الاشياء هنالك .. لا تكبر أو تصغر !!

(٥)

ومضيت
وأنا .. «حمزة» قد داستني الاصنام الخرساء
شلواً يتعثر في الاشياء
وسؤالي كبدي المهروسة ، تصرخ في الرمضاء
.. ما لمآذنك الممشوقة .. قد هرمت !؟
حتى الأجراس ..
صدئت .. تحت الابراج .. الأجراس !؟
وتخطى الصمتُ .. البوابة .. والحراس !؟

(٦)

..... أمّا هم ،

من كانوا يبنون على الرمل الاملس.. ناطحة سحاب ! !

أضحت فى الصبح الكاسح..حفراً ، يكسوها الطحلب

ـ والاعشاب

تتزوج فيها أنثى الخفاش العاقر .. بغراب ! !

فلهم عندى .. عشرات الابيات

فلعل الشعر يضىء سبيلهُم ..

ولعلهُم ..

(١٩٦٥)

يا وطني ..!

(١)

لا ، .. يا وطني
إن سقط سلاحك .. مرّه
وانكفأ المصباح .. على غرّه
فستنهض من كبوتك المرّه
وستجتاز ، كما اجتزت قديما آلاف المحن

(٢)

لا يا وطنى ..
فلنكسر بيض الاحزان
ولننزع هذا الليل من القلب
فأنا والاجداد عرفنا معدنك الصلب
شهداؤك فى سيناء .. علامات طريق
ودماهم ـ تاريخك ـ تحفر مجراها فى الدرب

(٣)

وطنى ..
هل تسمعنى الآن .. ؟
أنا مازلت أغنيك .. كما كنت
لم أتخلف يوما ، شأنى شأن الناس البسطاء
من طعموا خبزك .. لكن ذرة صفراء
من شربوا ماءك عكراً ، فى الترع السمراء

من سقطت اسماؤهمُ من قائمة الأسماء
لكن ، لم يتخلف أحد منهم .. في الضراء
هم منذ البدء على خط النار
والى ما شاء الله ، عليه .. عرايا إلا من حبك أنت

(٤)

وطنى
هذا القمر الملقى ، فى قاع الليل المشدوه
مثقوب الجبهة ، يقطر سمًّا فى حلق الأرض
هذا القمر الطيب ، كم أعطى العشاق ..
.. فماذا أعطوه ! ؟
حتى الأمس وما قبل أنين الاجراس
كانوا كالنحل .. حواليه .. ، يطنون
ويمدون الاعناق
لكن لما التفتوا ، ورأوه يساق ..

عصبوا أعينهم .. برداء يهوذا
وتشاغل معظمهم بالكاس ، وياقات العنق البيضاء
ـ نشوها حتى فى الصيف ـ
وأمالوا الرأس إلى الرأس
وتسكع فيما بينهم الهمس
ماذا لو شح « الوارد » ..
.. وتعرت أرفف « هانو » ؟
وهجرنا السيارات الشامخة الأنف . ؟
وزحفنا كملايين الأرقام .. على الأقدام ..
يلذعنا العرق المالح ، تزكمنا رائحة الأسفلت ؟
.. لو ، لو
وكأنهمو محشوون .. بلو
كانوا فى المحنة ـ يا وطنى ـ غرباء
.. فلماذا ، لايرتعدون من الخوف ! ؟

(٥)

يا خلى الراقد فى جوف الليل الكبريتى القاسى
يا رقما ، لا أعرف اسم أبيه ، ولا أمه
أو من أى قرى مصر .. أتيت ،
.. لكنى أعرف أنك والد أطفال
شقت أمهم الثوب .. فلاذوا بالصمت
واستلموا زاوية البيت
يتطلع أكبرهم .. للفأس الملقاة .. هناك
والجلباب الكالح ، فوق الحبل المجدول من الليف ،
.. يا صابر
يا محمود ،
يا إسما من آلاف الأسماء
يا خلى الراقد فى الليل ، وفى قدميه .. حذاء لما

لم يدهش إنسان فى القرية ...

... إذ عاجلك المـــوت

فلقد عرفوك .. صموتا ، تطوى الصدر على بؤسك..

ـ لكن فعّال

. . . .

ولذلك يا وطنى ..

إن سقط سلاحك مرّه

وانكفأ المصباح .. على غرّه

فستنهض من كبوتك المرّه

وستجتاز ، كما اجتزت قديماً ، .. آلاف المحن .

(١٩٦٧)

عن الحب والمدينة

(١)

لما كنا من مخلوقات مدينتنا البراقه
صرنا لعبتها المحشوة من أطراف القدمين إلى الرأس
... بصنوف الفزع المشحوذ الحدين ، وأنواع اليأس
تصلبنا فوق الأعمدة المغروسة ، والأشجار
وتمزقنا تحت العجلات المجنونة كالإعصار
وتدحرجنا طول اليوم .. على الأسفلت

وتفتتنا ــ ساعات الليل المتثاقل ــ فى الحجرات ؛
... لما كنا من هذى المخلوقات
تمشنا نجتر ضآلتنا فى كف مدينتنا العملاقه
يجلدنا الرعب
عبر شوارعها المتشنجة القسمات
وأزقتها والحارات
رغم تطلعنا ، وتعلقنا بمآذنها .. الألف !!
.. حتى لما فاجأنا .. الحب
ذات أصيل ، بقطار الصيف
عانقناه سوياً ، لكن .. فى خوف !!

(٢)

من لايعرف ، يحيا مرتاح البال
ولأنى يازهرة صبار الأيام المالحة الأشواق .
عرفت . . .

عانقت التجوال
وشربت مرارة أيامى
وتمنيت الموت !! ،
لكن ما فكرت ..
أن أسحب كفى يوماً .. من يدك الناقلة العدوى
وجراثيم المقت ،
وتركت فؤادى ينزو ..
واستمرأت تهاويل الصمت

(٣)

كانت أيامك حبلى .. قبل لقاء الغرباء
ولذا جاء المولود برأسين
يحمل آثار أصابعنا الشوهاء
.. نحن الاثنين ؛
الذئبة ، والصياد المفقوء العينين
وشتاء ممطوط ، قدرناه بعامين

واستبشعنا بعد فوات الوقت .. جريمتنا
فأشحنا عنه ، وأنكرناه
وتلفتنا مذعورين ..
... مذعورين ، نغير وجهتنا

(٤)

أعطى كل منا الآخر ... ظهره
وتسربنا بين الناس المنكفئين .. على الذات
ظهرى يكشف عن جرحى المتقيح من زمن ، وعظامى
ــ النخره
ظهرك .. هذا المحدودب حرباء ؛
.. لم يعن بهيئتنا أحد ..
غير عيون المعروضات !!
فلماذا يعنيك الحاضر ، والمستقبل .. أوما فات !؟

(٥)

هذا ما كان

فلندع الأشياء .. تمر

المائع ، والسكر ، والمر

ماذا كان سيحدث .. ، إن لم ...

إن لم يسقط من يدك السيف

فى هذا الصيف !! ؟

(١٩٦٧)

حسن توفيق

•• يستوقفك فى شعر حسن توفيق هذه المسحة الشفافة من الحزن ، كأنها غمائم الخريف الرمادية ، وقد يبرق فى ثناياها نجم أو نجمان شاحبان •

ويستوقفك فيه أنك تحس بأن شعره ينبعث من قلبه ، لا يتدفق تدفق الشلال ، ولكنه يتسلسل تسلسل ماء الغدير ، فاذا زاد احتراقه تقطر ندى ساخنا •

وموسيقى حسن توفيق من احلى النغمات التى سمعتها • موسيقى متوارثة ومستحدثة ، فبقدر براعته فى التقفية احيانا ، اجد فيه مقدرة موفورة على الموسيقى الداخلية ، من حيث اهتمامها بالألفاظ ، وحرصها على سبك الجملة ، وكمالها السحرى فى بناء القصيدة الموسيقى ككل تستطيع أن تدخل اليه من باب التجريد ، بعد أن تترك المعنى وراءك •

وعلى كل حال ، فهذه مجموعة حسن توفيق الأولى يحرق فيها براءته ليطلع علينا فى ديوانه القادم شاعرا •• ومجربا ، بعد أن يطول تسكعه فوق جسور الحياة وتأرجحه على حبالها •••

« صلاح عبد الصبور »

الدم فى الحدائق

نهر الرماد يفيض فى بطء على الأرض الخراب
وعواصف الشجن المليئة بالفراغ تضج فى أيامنا
وتدق ناقوس الأسى فى هيكل الذكرى وفى زمن العذاب
وكأنها تنعى لنا ماضاع من أحلامنا
من بعد أن صُلِبَ الحنان على الروابى والهضاب
وتململت حتى رؤى أوهامنا

من بعد أن غرقت سعادتنا .. هنا
فى ظلمة الماضى العميقه
وعلى شواطئه الغريقه
وتناثرت فى الريح أغنية لنا
كانت تعود بنا إلى زمن البراءه
أثقلتَ قلبي بالشجن
يازورق الروح اللهيفة للوطن
وطن البلابل والهناءه

الليل عاد يعيد للقلب انكساره
وتهاوت الأفراح من أفق الصبا الغالى الشرود
ألقى عليها قلبيَ الباكى اندحاره
صارت حطاماً فى العواصف والرعود
وصدى حنان لن يعود

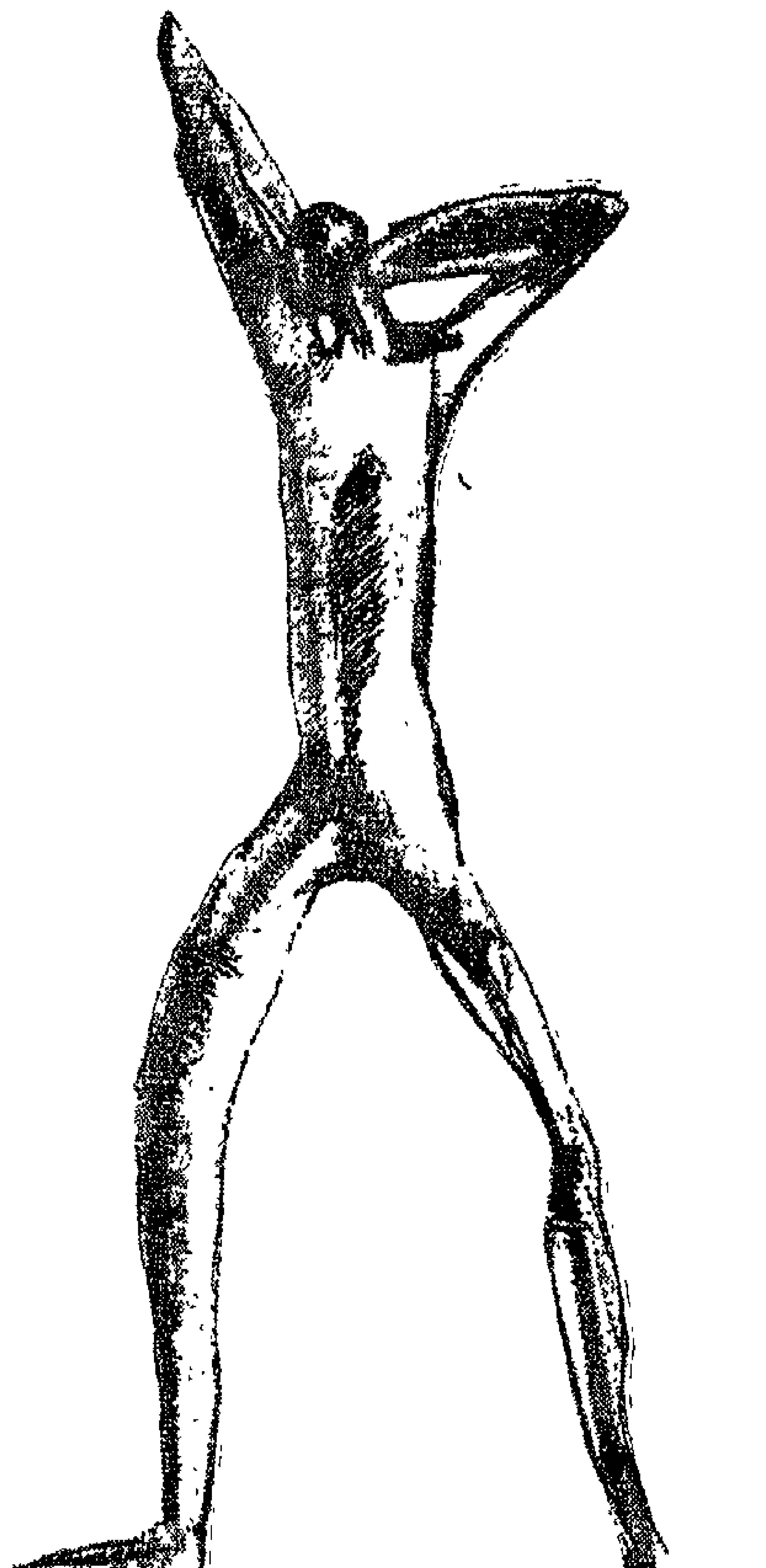

يا أيها الصمت المرفرف فى الظلام بلا هدف
لم يبق لى إلا فراغ جائع تتخبط الأوهام فيه
لم يبق لى إلا الأسف
شيخوخة القمر الذى وجد النهاية تشتهيه
لم يبق لى إلا مدى ظل كريه

وهناك فى هذا المدى قلبي ارتجف
ورأى الحدائق مقفره
من كل إشراق جميل
كالمقبره
فصرخت فى ألم ثقيل :
يا بلبل الأحلام .. أسكبْ فى عروقى أغنيات
تخضرُّ فيها الأمنيات
يا بلبل الأحلام .. رفرف ها هنا
رفرف على زمن عبر
رفرف على غصن ذوى وهوى إلى قاع النَهَرْ

إصدح لنا .. إصدح لنا
لنرى الحدائق كالقمر
لنرى الحدائـِــ....

لكننى أسكتُ روحى فى ذهول .. فى قلق
فعلى الغصون الذابلات العاريات من الورق
أبصرت دمْ
أبصرت دمَ البلبل الحانى .. يسيل
أبصرت دمْ
وعلى الحدائق من دَمِ النغم القتيل
نبع تثاءب فى ذهول .. واندفق
ليبدد الفرح القليل
فى كل أيامى التى لمست خيالا من هناء ، من ألق

الساعة البلهاء يمضغها النعاس
ورنينها المنهل يقلقنى كأن بجوفه القاسى شبح

وأنا أحدق في الفراغ ..

تن .. تن .. تتن

هذا زمان لم يعد فيه انتعاش

لا نور في آفاقه

والحب فيه بلا جذور

تن .. تن .. تتن

نهر الرماد يفيض في بطء على الأرض الخراب

تن .. تن .. تتن

من بعد أن غرقت سعادتنا .. هنا

تن .. تن .. تتن

وأنا أحدق في الفراغ .. !!

(١٩٦٣)

من ليالي الفراغ

ليالى الفراغ تدحرجنا فى شوارع هذى المدينه
فنمشى نصافح بعضاً ، ونترك بعضا
ونحمل حباً وبغضا
وذكرى دفينه

وعند المسير يرانا القمر
نحرك ذكرى دفينه

فيضحك .. كما نمد إليه البصر
فيلقى إلينا بنبع السكينه
ولكننا نستفيق
على صوت روح حزينه
وقلب ببحر المآسي .. غريق

رماد على كُمّ شيخ عجوز
يصيح بنا : لا تمدوا البصر
إلى وجه هذا القمر
فما من كنوز ..
لديه
وما من أثر
لنسمة نور
ترف عليه
وهذا رنين النهايه

يقربنا من تراب القبور
وفيه الكفايه »

سكتنا .. سكتنا .. وكان انتظار
وعدنا ننام
وكان انتظار
وجاء نهار ، وراح ، ومس الشوارعَ ليل عميق
فعدنا ننام
وكان انتظار
تغيَّر لون الوجوه ، تغير كل صديق
وكان انتظار
تهدَّم بعض البيوت
ومرت فصول ، ومدت ظلال الضياع على أمسنا
فلم يبق منه سوى ذكريات مشى العنكبوت
عليها ، فغام الأسى فى الكلام وفى همسنا

وكنا تركناه فى كأسنا
وكان انتظار

أبعد انتظار السنين الطويله
تغيب ملامح دنيا جميله
وتبقى عظام الصدى فى الفراغ ، ويبقى الرماد
يذكرنا بانكسار النفوس
يذكرنا بانخذال الرؤى فى ليالى السهاد
فنشرب بعض الكؤوس
لننسى .. ونكسر بعضا .. ونمشى بدنيا الحداد
ونمشى ..
مع الوهم نمشى ..
إلى أن يرانا الزمان العبوس ..

أهذا زمان السكينه .. ؟
أهذا زمان القمر .. ! ؟
رياح لعينه
تحطم كل الشجر .
(١٩٦٣)

شجن ...

شيخوخة الأحلام تعتصر البريق من العيون
وتشد أفراحَ الحياة إلى القرار
شيخوخة الأحلام تحرقنا بنار
نار من الألم المشبع بالفراغ وبالسكون
شيخوخة الأحلام تتركنا ليأس وانكسار
وعلى شواطىء من أسى تلد الجنون

يا بلبل النسيان غنوتك اختفت
ومشى الذبول إلى الشجر
فالأمس ظلٌ من رماد
صور غفت
فمضى بها ركب السنين إلى الحفر
نهر من الأوهام منبعه السهاد
ليل تحجَّر فى عيون لم تنم
وصدى نغم
ألقت به الأيام فى صحراء يصبغها الحداد

ضاع الحنان ، فلا يد تحنو ، ولا نغم يرف على القلوب
وتناثر الماضى على تل السنين بلا بريق
لم يبق للقلب المعذب – من رؤاه – سوى الشحوب
وسوى ارتياح – دون جدوى – للظلام وللدموع
وعلى الطريق
صار الصديق بلا صديق

والقلب غمغم – والأسى متحفز – ما من رجوع
ما من رجوع للسنين الضائعات من السنين
ما من رجوع
فالنور كفّنه الأنين
وزوارق الأيام تجرفها الرياح إلى القرار .. إلى القرار
وصدى الزمان يصيح فيها : « لا فرار .. »

بعد الرؤى المتدفقات ، وحمرة الشفق المنافق
رددتُ أغنيةَ الهزيمه
أيقظتها . فصدى الزمان يهب فى روحى حرائق
أأمسُ جمجمة عقيمه
الدود منها قد أطل على الحدائق .. ؟
أأمس جمجمة عقيمه .. ؟

... وأتى المساء بلا هناء أو رجاء أو قمر
فعرفت أن النور زورقه انكسر
فى لحظة الندم التى تلد التعاسة والضجر
للمرهفين من البشر .

(١٩٦٣)

الذبول

الليل قد سكب النعاس على الشوارع فى المدينه
وأنا بلا هدف أسير
ظلى ورائى يستثير زوابع الألم الدفينه
ظلى ورائى يستثير
قلبي الذى ألقت به الأيام من حضن السكينه
من كوكب حان إلى زمن ضرير

الموكب الباكى أتى .. وأتى العناء .. أتى العناء
يمتص أيامى الغوالى فى نَهَمْ
يمتص أغلى ما لدىّ ــ بلا ضمير ــ فى العراء
يمتص ذكرى أوحُلُمْ
يمتص من قلبى الصفاء
يلقيه فى بحر العدَمْ

ما زلت فى الدنيا الحزينه
أرنو إلى آفاقها .. روحاً تجدف فى سأم
وتحس بالظل الطويل ، ترى الألم
أمنيَّةً من أمنيات الروح تعصرها الضغينه
تلقى بها تحت القدم
والليلُ قد سكب النعاس على الشوارع فى المدينه

ماذا يقول الأصدقاء
لو أنهم عرفوا نهاية قصتى

من نظرتى
عند اللقاء .. ! ؟

لن تلمس الأفراح آفاق النغم
من بعد ما ذبل الهوى
واخضرت الآهات فى حقل الندم
وهو الذى بدمى ارتوى

الليل ما زالت بقاياه الكثيفة فى سماء القاهره
وأنا الذى عرف التلهف والحنين
سأظل أحيا فى الشتاء هنا على ذكر الأمانى العابره
أحيا بها ..
أحيا حزين

ماذا إذن ...
لو أنني حطمت مرآتى التى عكست طيوفاً من هنائى
ونفضت وهم الروح فى صخب الشوارع
وهربت من دوامة الأفكار من بعد التنائى
وأزحت عن قلبى الزوابع
كى لا تعود إلى سمائى
بعد انطوائى
ماذا إذن .. ؟
ماذا إذن . ؟

(١٩٦٤)

حكايا الظلال

قُذِفتُ الى عالم صاخبِ

بدون إراده

وكلت خطاى من السير فيه بلا مأربِ

وقلتِ لقلبي الغرير بأن ربيع السعاده

قريب ، فرفرفْ بشوق إليه ولا تندبِ

وها أنت تروين نفس حكايا الظلال المعاده

وقلبيَ يصرخ في وجمة الخانق المتعبِ
أكاد أحس دبيب البلاده

تعلمت يومًا
وحين عرفت صنوف القراءه
وجدت الشهى فى عيون النساء تشق الحجر
فعانقت همًا
وأطفأت كل شموع البراءه
وفح الظلام فكاد يحجر روحى الضجر

مللت وقلت مراراً مللت
أما من نهايه
لكل الحكايا اللواتى عرفت
أما من نهايه
أما من وجوه أحس بأنى أراها بحق لأول مره

أما من وجوه
أحس بروحي تكاد تتوه
بأسرارها فى الظلام الكثيف ، فتومض فكره ؟

وبالأمس كان الظلام كثيفاً
وكنت أحدق فى العابرين
وكنت أسيفاً
كأنىَ عصفورة تستكين
لفخ لعين
يريها مصير الحياة سخيفا
مشيت مشيت
وعبر الشوارع حين انتبهت
لمحت الأسى فى عيون البشر
وومض المحبة يخبو وشيكا كغيمة صيف
وكان الزحام كسيل المطر
وأحسست أنى – برغمى – أواكب موكب زيف

تَشتَّتَ ذهنى
وغام بقربى ضجيج الزحام
وخيَّبَ ظنى
نداء تنشقت فيه السلام
وحدثت نفسى مراراً وقلت لعل صديق
أراد لقائى
أراد يخفف عنىَ ضيق
أراد يعاتبنى لانزوائى
وحين تشتت ذهنى مرارا
وقلت لنفسى لعلى جننت
وجدت إسارا
من الوهم يوهن خطوى فرحت ـ ببطء ـ وجئت
وظل يصور لى الوهم هوه
ستُفتَحُ لى فى الظلام الكثيف
بدأت بريبة نفسى .. بوهمى .. أنقّل خطوه
وأخرى وأخرى جوار الرصيف

وكنت أريد لحاق الترام
ولكن أعاق خطاى الوهن
وسيل الزحام
وعصف الشجن

تود خطاى الفرار من الظلمة الخانقه
تود خطاى ، ألم تسمعى
ولكن وهماً بقلبيَ يطفئ معنى الثقه
بكل الوجود يسير معى

من الناس أم من تخاذل نفسى
أود الفرار ؟
صرخت بعزم لساعة نحسى
أريد النهار !

(١٩٦٥)

الرحيل

(إلى ل . ش)

فى ليلة صمّاءَ راودنى الحنين إلى الرحيل
ناديتُ باسمك يا نجوم ويا شواطىء فى شغف
فتشتُ عن نبع جميل
عن نسمة عذراءَ أنشقها إذا القلب ارتجف
غنيت أغنية جديده
ولأننى قاسيت من صوتى الأجش من البدايه
أسكتها ورجعت أصغى للنداءات البعيده

وعلى المدى في اللانهايه
النسر ضاق بما رآه على السفوح من الجيف
النسر أرهقه الصعود
ماذا يحس سوى القرف
وسوى الفراغ بلا حدود

وجلست أفكِّر في أسفٍ
والصمت عميق
والنسر يحملق في الجيفِ
والصمت عميق
في هذا الليل
من يبعد عني هذا الضيق
أأشق إلى نهديك طريق
كي أشفي الغل
أظفاري بارعة التمزيق
فكفَى بالله نشمُ الفل

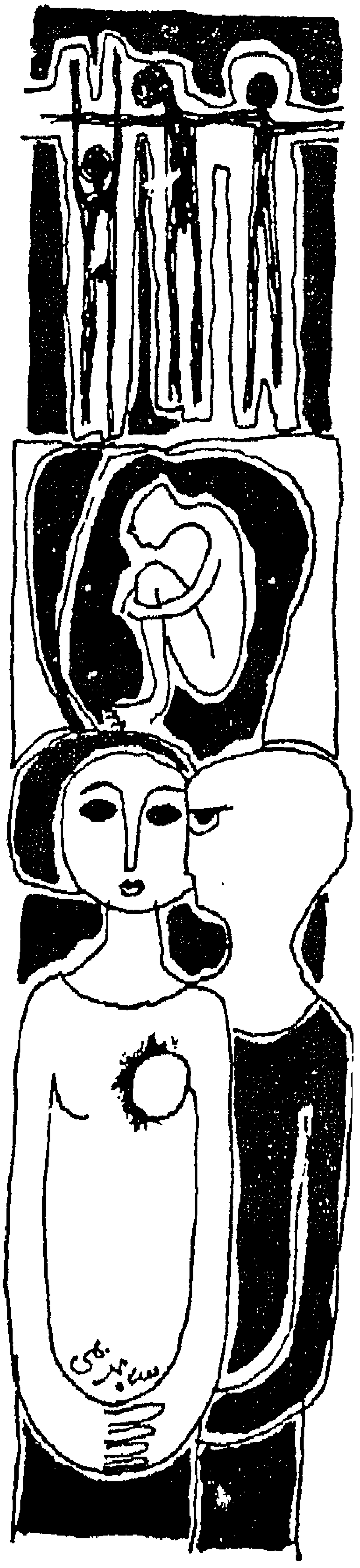

وكفى تحديق
فى هذا الليل
وتدق الساعه
فى عالم طين فيه دماء
فتفر رؤى ليلى مرتاعه
والموكب يمضى بالأشلاء

هذا الشرود الى متى ؟
هذا الشرود إلى متى يا أيها القلب الصديع
من أجل ماذا تجعل الأيام زهراً ميتا ؟
من أجل أن تجد الربيع !!
ماذا يقول لك الشرود عن الوعود الزائفه
وعن التحرق للبكاء
وعن النجوم وما تعى من ذكريات زاحفه
دوما إلى غير انتهاء
وسألت قلبى فى برود

ماذا تريد من الوجود
أذللتنى .. أذللتنى .. أخرستَ لحنَ الكبرياء
وجعلت آسرتى امرأه
فيها حنين للدماء
فلتقذف هذى الصحائف فى لهيب المدفأه
ولتحترق دنيا حزينه
ولأترك الآن المدينه

ورحلتُ إلى مدن أخرى
عبر الأيام
لكن ظلت تعوى الذكرى
والروح تدور مع الأوهام
فى كل مدينه
أخطو فيها ألقى أضواءَ شوارِعِهَا
تتقيأ – ويلى – نفسَ الضوضاء المجنونه

والناس تمر بِضَائعها
وترش عليه ظلال شماته
نظرات وعيد
وتهز مع التحديق حياته
ويظل وحيد
فى كل مدينه
يعدو نحوى وحش مسعور
وحش الملل القتال يثور
يمتص الأمن ، يشل رنينه
فأحس كأن خطاى سفينه
يتقاذفها موج هائل
والبحر يثور بلا طائل
البحر يزمجر كالقاتل

النسر ضاق بما رآه على السفوح من الجيف
النسر أرهقه الصعود

ماذا يحس سوى القرف
وسوى الفراغ بلا حدود

فى الليل أفيق
وتصلصل فى وهمى الأغلال
ويطل على شفتىّ سؤال
كرماد حريق
من يذكرنى فى هذا الليل ؟
من يذكرنى ؟ والدنيا ظل
واندست فى قلبى ظلماء
لم يبق صديق
لم يبق صديق
أو تهمس لى شفة بدعاء .
(١٩٦٦)

أغنية للصفاء

(إلى م . ر .)

ملء عينيك صفاء فيه دنيا شاعريه
تتمنى أن تلاقيها العصافير الغريبه
كى تحس الأمنَ فيها والهناءاتِ السخيه
وتمس النور فى آفاقها
ملء عينيك هناءات وطيبه
تشتهيها الروح من أعماقها
ملء عينيك أغانٍ دافئاتٌ بُلبليه

ونداءات حبيبه
رقرقت في القلب موسيقى نديه

أنتِ دنياى الرقيقه
أتملاها كحلم ساحر فيه انتعاش
وتهاويم فَراش
وينابيع وآفاق عميقه

عندما الليل طوانا تحت جنحه
وتمطى عصف ريحه
صاغت الأحلام فجراً من أغان باسمه
فابتسمنا .. ومشينا بنفوس حالمه
عند ما الليل طوانا تحت جنحه

أنت يا ينبوع نور ، وخيال ، وبراءه
حبنا فجر يغنى فى سماوات شفيفه

حبنا فجر ندىّ .. تلمس الدنيا صفاءه
فى أغانينا اللطيفه
فى انتعاش مَسّ قلبينا بألحان وِضَاء
فى القمر
فى عيون الأصدقاء
حين يأتيهم خبر
عن هوانا
حين يرنون إلينا فى الطريقْ
فيحسون انسجاماً فى خطانا
وصفاء وبريقْ
فى رؤانا ...

فى لياليّ الطويله
حين أمشى فى الشوارع
ضجِيرَ الروح وضائع
تتلقانى الخيالات الجميله

فيرانى الأصدقاء
أتغنى فى هناء بالصفاء :
« ملء عينيك صفاء يا حبيبه
فيه دنيا شاعريه
وسماوات رحيبه
تنقذ الروحَ من الدنيا الشقيه »

(١٩٦٤)

الريح والضيف وأنا

(إلى ف . ع)

كفّي .. كفّي .. فالوقت يمر
ورمانا الله عرايا فى هذى الأرض العطشى للدمّ
كفى .. فالهمّ
أثقل مما يتحمل صدر

وتهب على سمعى المثقل ريح ثرثاره
وأظل أحاول أن أصغى ، والريح تجر

أشراكَ الألفاظ الدوّاره
والوقت يمر
ويعمّق فى قلبي أظفاره
فأخرُّ .. أخر

وأبكتُّها .. وأقول لها : « لا أرضَ لنا
كفىّ .. كفىّ
لاحبَّ هنا .. لادفء هنا
وأعود إلى برد الخوفِ
وهنا يتفكر قلبي فى ملكوت الله
يمطر خوفا
فأفكر فى تنغيم الآه
كى تؤنسنا فى وحدتنا

لكنى لا أهدأ .. أترقب فى الجلسة ضيفا
يأتى .. يوقظ فينا عرقا من نشوتنا

ريح ثرثاره
تتنهد فى قلب الحجرِ
وتموت شراره
كادت تومض ، ثم انسكبت سحب المطرِ
لكن هل يُنبتُ صخر غصنا ؟
لا .. لا .. لن يُنبتَ صخر غصنا !

واسترخت فى مقعدها آسرتى الريح الثرثاره
– ماذا كانت تبغيه فلانه ؟
– لا أدري .. قد تقصدتكشف يوما أغواره
كفىّ .. كفىّ .. روحى أسيانه
– هل قالت له

أبعدْ أنفاسك عن وجهى
تبصرْ عيناك مدى كرهى
وسدى أن تحظى بالقبله !؟
ـ لا أدرى .. كفى يا .. كفى .. روحى أسيانه
روحى أسيانه

يا لغة القلب الشفافه
ناس بسطاء
عرفوا أن التسليم حصافه
عاشوا زمناً ومضوا بسطاء

يا آسرتى .. كفى .. كفى .. فالعالم كان
أجمل مما نلقاه الآن
القط يموء بلا سَبَبِ
والوقت يمر

وقواى تخر .. تخر .. تخر
وكأن غِيَابَ الضيف يفتت من عصبي

....

لكن هل يأتى الضيف هنا
كى يؤنسنا .. يبقى معنا !؟

....

العالم كان ..
العالم كان .

(١٩٦٦)

حكاية النعامة

عيناك ياحبيبتى
بحيرتان من عذاب
رائقتان كالسماء بعد ليلة من المطر
يخوض قلبى فيهما
يخوض فى اضطراب
إذ يرقب الزوارق الكثيرة السفر

ماذا تريد هذه الزوارق المثيره ؟
وما الذى يثيرنى !؟
أحس بالوحشة فى انطلاقتى الكسيره
كأن شيئاً جامداً وموحشا يزيحنى
عن عالمى الذى خبرته .. ألفته
من زمن وعشته
أحس بالوحشة مثل غيمة غريره
رحلتها الأخيره
فوق أراضٍ لا تريد الماء لا تنتظرُهْ
لأنها ندية ، أحس بالوحشة ياحبيبتى صواعق
فى جسدى تعتصرُهْ
نازفةً حرائق

وها هى السماء تبدو صامته
وهاهى المومس فى دوامة الترقب المذل سائره
بالخطوة الضائعة المفتته

فلعبة الحياة خاسره
وماسح الأحذية العجوز
يرجع للزوجة والأطفال باللقمة راضيا
وصاحبي فلان لم يزل يسير باحثا عن الكنوز
فلعبة الحياة رابحه
ونحن ياحبيبتي نطلق ضِحْكةً
تذوب حين أفتح المذياع
تذوب برهةً
ثم تُعاوِدُ الرنين ...
« هانوى فى الظلام ، والقنابل المروِّعه
تهطل تهدم البيوت
هانوى فى الظلام ، والطفولة المفزَّعه
تبدأ رحلة السكوت »
مؤشر المذياع يستدير ، أسمعُ
أغنيةً عن النجوم والقمر
حالمةً ترعش فى قلبي الوتر
وبعدها أروّعُ

أسمع أن الأم فى الهند تبيع طفلها
من أجل كسرة من الخبز بلا مذاق
أسمع أن غيمة التجربة الذرية القوية العصب
تبسط ظلها
أسمع أن ملكا قد ابتنى لامرأة
قصراً من الرخام والذهب

....

حبيبتى تضحك ساخره
لكن خوفى يستطيل بجلد الضحك
ومن خلال الخوف تستفيق خاطره
تذيل دولة الضحك:

«اللهب القادم قد يطمس وجه القاهره
فآه ياحبيبتى
اللهب القادم قد يريح روحى الحائره
يصنع من مدينتى

جمجمة مشوهه
فى عالم المقابر القديمة المشوهه »

وآه يا حبيبتى
من عثرة اللسان أو ترَمّلِ النغم
وآهِ لوثرثرتى تنبىء عن حقيقتى
فيولد الندم
أتعرفين ياحبيبتى حكاية النعامه
حين ترى الصياد !
....
....
أودُّ يا حبيبتى أود لوأنام
أنام فى البحيرتين
أغرقُ فيهما هواجسى المكدسه
أنام فى سلام
وحين أصحو أستعيد كلمتين حلوتين

مبتعداً عن العوالم المدلسه
مبتعداً عن الدمِ
يسيل فى فيتنام
أذوقه فى عالمى
أصرخ يا فيتنام :
«أكاد أرى النيران تمتص جدران البيوت المخربه
وألمح بوذيا يقوض نفسَهُ
فتصرخ فى قلبي رياح مخضبه
لتطفىء شمسَهُ»

صافية سماؤنا ، لكن مذياعى الصغير
يقذف بالأحجار
وأنت ياحبيبتى تفتشين فى السرير
عن عالم الأزهار
وها أنا أهيىء الجسم لرحلة النعاس والخَدَر
بالقرب من بحيرتين

رائقتين كالسماء بعد ليلة من المطر
وها أنا هنا ألوك كلمتين حلوتين

....

صافية سماؤنا ، لكن مذياعي الصغير ..
تبا لمذياعي الصغير ! !
يقذف بالأحجار
يحكي لنا عن الدمِ
يسيل في فيتنام
أذوقه في عالمي

....

....

ماذا إذا حطمت مذياعي الصغير ! ؟
ماذا إذا

....

أفرغ الآن لنومي دافناً رأسي نعامه
تختفي من رمية الصياد تغفو للقيامه

أفرغ الآن لنومى ..

دافنا رأسى ..

نعامه

(١٩٦٦)

س. عزمى

أغنية وداع

« إلى الملتقى »

وعانقتِ كفّى بكلتا يديكِ

وبعد التفرق عاد نشيدى مدىً مغلقا

تقوقعتُ فيه أنادى عليكِ

وكان الرحيل خلال ليالى الشتاء الرتيبه

يحبب لى الأغنيات الكئيبه

ومرت شهور

أطلت وساوس روحى الغريبه
برأس جسور
لتنهش أعماق دنيا حبيبه

ويمتد بينى وبينك سور صفيق الحجار
أحاول هدما لجدرانه
سدى ما أريد فان الصحارى وان البحار
تقيد قلبي بأحزانه
حنانك إنى أريد النهار
لأنسجَ أبهجَ ألحانه
ففيم وداعك للقاهره
وفيم الفراق
ألا تلمسين الرؤى الحائره
وأنت هناك بأرض العراق !؟

آحن إليكِ
فلو أن قلبيَ صار فراشَه
لرف عليكِ
ليلقَى على راحتيك انتعاشَه
ولكنَّ قلبي دم يا صديقه
يحِن إليك حنين السنابل
لدفقة ماء
ونسمة صيف على الحقل تجبو بروح طليقه
ولكنَّ هذى السنابل تخشى عواء المناجل
وتخشى اصطخاب ليالى الشتاء

حنيني غريب
لحمرة عينيك يا غاليه
لغصن رطيب
لبسمتك الحلوة الصافيه

وتمضى الشهور
وراء الشهور
فتصرخ روحى : « لماذا التفرق بعد التلاقى
وكيف تظل الرؤى الشارده
تعمق بعد الرحيل اشتياقى
بلا فائده ؟ »
وتمضى خطاى البطاء تهوم فى القاهره
ويأتى الشتاء
يقصقص ريش المنى الساحره
فيبقى الخواء .

(١٩٦٦)

أغنية اغتراب

(إلى س . س .)

صديقتي التي أراها في الصباح برهة ينسكب العبير
من شفتيها الحلوتين حينما تبتسمُ
وهمسها الهادىء ـ حين تبدأ الحديث ـ في نعومة الحرير
كأنه حديقة يولد فيها النغمُ

تبدو لنا مزّينه
وترتدى النظارة الأنيقة الملوّنه
لتبعد العينين عن تطفل العيون
لكننى أنقش فى ذاكرنى لونهما
معانقا حسنهما
محدثا نفسيَ عنهما كأننى اختبلت أوأصبتُ بالجنون

عيناك يا صديقتى يمامتان تشردان
فى ملكوت الشعر والأحلام والطفوله
ترفرفان فى أمـــان
فتشرق الأحلام فى مشاعرى الخجوله
وتولد الأقمار
وأكتب الاشعار
فكيف ترحلين
يا وردة تفتحت فى عالمى الحزين ؟ ؟

(٢٨ ديسمبر ١٩٦٨)

محمد عز المناصرة

- من مواليد الضفة الغربية للأردن ويقيم فى القاهرة منذ خمس سنوات ٠
- نشر نتاجه الشعرى ودراساته النقدية فى مجلات وصحف القاهرة وبيروت والأردن وفلسطين ٠
- عمل مراسلا أدبيا لمجلتى « الأفق الجديد » المقدسية و « رسالة الأردن » لمدة ثلاثة أعوام ٠
- كتب مسرحية شعرية « أغنية السـمك المسموم » ويكتب اشعارا بالعامية الشامية وقصيدة النثر ٠
- يقول عنه صلاح عبدالصبور ٠٠انه من ألمع الأصوات الجديدة ، وذو موسيقى ناضجة ٠

قِفَا نبْكِ ..

« اليوم خمر وغداً . . . . . »

مقيم هنا أشرب الخمر فى حانةٍ فوقَ ....
« رأس المجيمر » كل مساء
هنا ينعب البوم فى سقفها تستريح .....
ثعالب وادى النماء
هنا حيث نأوى مع الليل لو يسمع الرملُ ....
وقع خطا الندماء
ملأنا جدار الليالى بكاء

فكيف ستصمت غزلان « وجرة » لا تفزعُ
ولا تسمع الكأسَ تسرى بأعراقنا .
مقيم هنا أشرب الخمر حتى الأبد
وحتى تدق المسامير فى النعشِ ....
لا تحملوا الشعراء
دعونى على زق خمر وخلوا يدى تحملُ ...
الكأس حتى تطاولَ رأسِ المجرّه
ولا تطلبوا الثأر ياآل حجرٍ فإنى ...
قتيل العذارى وكأسٍ من الخمرِ ......
لم أدخلِ الحرب مرّه .

الخير ينتظم البلاد بلاد كنعان السخيه
من بعد أعوام عجاف
عادت إليك مزارع التفاح من فرحٍ صبيه
كانت على النبع الذى أحببته
بعصارة الحناء تصبغ وجهها تسَلّى السلاف

وتنام حتى تحرق الشمس الصباحيه
تلك البنية
تبكى على خل مضى تركته من زمن بعيد
نسيته فاختطفته منها النائحات
يا حلوتى : الوقت فات
« يا ساكناً سقط اللوى
قد ضاع رسم المنزل
بين الدَخولِ فحوملِ »
وبكيتُ فوق الجسر بين القدس فالوادى السحيق
وصرخت من يأسى ومن طول السفر
لو مات فارسك المجيد ومات ناطور الشجر
فادفن عظامى يا حبيبى ......
تحت كرمتنا على الجبل العتيق
تتعتق الأيام والأعوامُ
ويسحُّ فى الشام المطر
تنمو وتخضرُّ العظام

فادفن عظامى وانتظر
يوماً من الوادى شروق
إنى لأخشى الموت فى المنفى فمن
يروى عروقى ؟؟
لو كان يسأل ما الدوا
من خمرتى داويته
يا ساكنا سقط اللوى
قرب اليمامة بيتـــه .
أتانى أتا
وحق يغوث أتانى
تمر الشهور تمر الثوانى
وخبّأتِ عنى طويلا
وما خبأ الأصدقاء
يغيب النهار ويأتى المساء
كؤوس مبعثرة .... لم يعد
صفاء الليالى صفاء

وما عاد كأسى يروق
وأشربه سأماً سأماً دون معنى
هباء
أتانى أتانى
وحق يغوث أتانى
أيا حجرُ واخجلتى منك واخجلتى ....
حين جاء النبأ
قضيت الليالى
أفرق بين الصواب وبين الخطأ
ولا زاد فى جعبتى غير ما صنعته يدى الآثمه
وما أرسلته مع الفجر لى فاطمه
تقول : انتصر لأبيكَ ... انتصر لأبيكْ

. . . .

. . . .

سأشرب طيلة يومى
سأشرب حتى ولو كانت الكأس مُرَّه

فمن أجل غزلان « وجره »
غداً أدخل الحرب أول مره .
رحلت وحملتنى عبء هذا النبأ
رحلت وحملتنى عب هذا النبأ .

ضاع ملكى
فى ذرى « رأس المجيمر »
ضاع ملكى وأنا
فى بلاد الروم أمشى أتعثر
من ترى منكم يغيث الملك الضليل ياصخر يغوث
أرسل الموت لكوخ الندماء
ضيعونى ... ومضوا فى دربهم
يشربون الخمر فى كل مساء
فى ذرى رأس المجيمر
ضاع ملكى
أكلتنى الغربة السوداء يا قبر « عسيب »

جارتى إنا غريبان بوادى الغرباء
نبعث الشعر ونحمى « أنقره »
أيها الوادى الخصيب
ربما مرت على القبر هنا يوماً حمامه
يا حمامات السهوب
أبلغى عنى التحيه
قبل موتى للحبيب
داره السمراء شرقى اليمامه
وأنا أسقط مهزوماً إلى يوم القيامه
يوم يأتى الشعراء
يدخلون الجنة الخضراء قبل الأنبياء .

(١٩٦٧)

زرقاء اليمامة

« عيناك ياحبيبتى أصدق منهم و لكن . . . »

تتدلى أشجار التين على الحيطان الشرقيه
نتلقى الدرس الثانى ...
تحت الشمس الصاحية النيسانيه
نكبر نهجر ذاك الحانوت
نحلم بالشرنقة المنسوجة من أوراق التوت
لكن يا حبى الأول
قلت لنا أن الأشجار تسير

تقفز تركض فى الوديان
فى اليوم التالى يا زرقاء
فى اليوم التالى يا زرقاء
كان الجيش السفاح
ينحر سكان البلدة فى عيد النحر
قلعوا عين الزرقاء الفلاحه
خلعوا التين الأخضر من قلب الساحه
فى اليوم التالى يا زرقاء .
وطوت عرض الدنيا
حتى جاءتنى أنباء
أنباؤك يا زرقاء .

رفت عينى اليسرى ... شبت نار
ورأيتك فى الصورة تحت التوتة ....
فى ظل الدار
إلفلك مد جناحيه ... توارى .. غاب

ينقش أشعار الحزن على تفاحه
يأتى العفن المزمن يا زرقاء
يمحو من ذاكرتى .. صور الأحباب .

ومر الليل مر الليل يا زرقاء
وكنا نرقب الأسحار
نصوغ قصائد العنب المعرش فى روابينا
ونكتب أصدق الأشعار
ونزرع شتلة التوت ....
فسيلات تمد العنق تحضنها سواقينا
نبل الريق ... يطوى كلنا جوعه
ولكنا ...
ولكنا ...
نسينا أن عين الحلوة الزرقاء مخلوعه
وأن الراية الأخرى على الأسوار مرفوعه

مجلة الآداب البيروتيه
(١٩٦٦)

رسالة إلى فروتا

عيونكِ فيهما وهجٌ
صريح اللون لا يخفى
عيونك ملجئى ... منفاى
وأعشق ذلك المنفى

فروتّا طائر أخضر
ينام على مشارفنا

ويبكى فى حديقتنا
ولا يظهر .
وإن جاءت ليالى الصيف تذكرنى
وتعبدنى
فقد ولدت فروتا فى ليالى الصيف
وألقتنى بعيداً عن منازلها
ليالى الصيف
وتبقى دائماً تذكر
فروتا طائر أخضر
فروتا طفلة تنمو
لنبنى عشنا الأخضر

وألقانا الزمان المر فى بحر بلا أطراف
ورحنا نسأل العراف
عن الجزر الرماديه
عن المرجان والياقوت والسفن الشراعيه

فتمتم ثم عزّم .. قال أن الريح تدفعكم
إلى جبل الحديدِ
وأن هناك فى قمته فارس
تغيب الشمس يأتى الليل يخلع ثوبه .....
فوق المدائن من جديدِ
ويفنى الكون وهو هناك كالحارس
وتنكسر المراكب فى ليالى الصيف

رأيت البحر : طحلبه ، ثعالبه .....
وما يرويه رمل الشط للموجه
وكلب البحر يلهث خلف أسماك صغيرات ...
يحمن هناك فى الأرجاء
يقول لهن : عكرتن صفو الماء
رأيت بنات آوى فى كروم الصيف
رأيت الطفل مذبوحاً بحد السيف
رأيت بنات حارتنا

يجرجرهن سوط الموت والنّخاس
فروتا يا أعزّ الناس
زمانى ميت الإحساس
زمانى ماكر غادر
أنا المجنون والشاعر
أنا المسفوح والسفاح
أنا المجروح والجراح
أنا الصاعد والنازل
أنا المقتول والقاتل
أنا العطشان ترويني
بحار الهند والصينِ
وأنت المرهم العلوى أنت الكاس
فروتا يا أعز الناس
زمانى ميت الإحساس

عيونك فيهما وهجٌ
صريح اللون لايخفى
عيونك .. ملجئى ... منفاى
وأعشق ذلك المنفى .

(١٩٦٧)

المقهى الرمادى

« من امرئ القيس إلى أبيه »

عندما نأتيه نصطاد السويعات اصطيادا
عندما نسعى إليه
تهتف الغربة فى الأعماق تزداد عنادا
أيها السارون فى منتصف الليل وفى أعينكم
ظمأ للدفء فى أحضان مقهى
لتعبوا من صفاء الليل كأس الحزن مكروراً معادا .

وإذا ما جاء شهر الصوم ترتج ضلوعى
ذلك المقهى الذى زاد ولوعى
شربتْ ردهاته بحر دموعى
ذلك المقهى الذى يقبع فى حضن « الحسين »
جئته فى ليلة غامضة الأسرار ...
كى أدفن أحزانى وكى ألقى اليدين
مرتين
جئته فى ليلة واحدة ...
ـ يا أصدقائى : صدقونى ـ مرتين
والمغنى
كان فى المقهى يغنى :
ـ يا عزيز العين إنى
لتراب الشام مشتاق وفى قلبى جروح
ـ من ترى منكم يبيع الآن لى
كبداً دون قروح

كان فى المقهى يغنى
ذلك المقهى الذى يقبع فى حضن الحسين .

كانت السيدة السمراء تجلس
فى الزوايا ترسل الضحكة للأطفال ... تهمس
وحواليها ثلاث من بنات العائله
ترسل النظرة بين الحين والحين إلىْ
ثم تهمس
ثم تهمس
ما الذى تهمسه السيدة السمراء عنى ؟
آه كم أشتاق أن يُجمع شمل العائله
لأصلى فيك يا مقهى صلاة نافله
أنت تسقينا كؤوس الشاى حمراء ...
... وفى لون البنفسج
أيها الزهر الحزين
رغم هذا أنت تُبهج

فاترك الأحزان يا أزرق دعها للسنين
آه لو تعرف حزن الآخرين
أيها الزهر الحزين .

كلما يا جارتي جاء المساء
تسألين
أين يمضي الملك الضليل فى كل مساء
ربما يحمله التيار يمشي فى دروب الساقطين
أنت لا تدرين أين ؟
أول الليل أجر الخطو ... لا تدرين أين ؟
نحو مقهى أشرب الأحزان من جدرانه قرب « الحسين»
ثم أدعو للحسين
بالرضا عن رأسه والراحتين
« نحن جيران الحسين
نشرب الخمر إذا ما

ساعة القلب أتت
ونصلى ساعة للرب . . نفنى فى الإله »
ثم يمضى الملك الضليل للمقهى القديم
كللت حيطانه خضر الطحالب
ونسيج العنكبوت
كل ما فيه يموت
ها هنا أدفن رأسى
فى كؤوس الشاى حمراء وفى لون الخُطب
ها هنا أدفن يأسى
فى رمال دنسوها . . . لم تكن
غير هذا الكِذْب .. ما ينمو بأعماق الزمن
وأقول « اليوم خمر وغداً ... » يا غرباء
أسكتوا يا غرباء
« فوراء الثأر » منا خطباء
ووراء الثأر منا حكماء

(١٩٦٧)

ذهب الذين أحبهم

جاء الشتاء وأنت ترتادين آفاق الشتاء
ورأيت أشجار العذاب تطل من قلب المساء
لا حور لا صفصاف لا زيتون يرفع رأسه ...
نحو السماء
لا قلب جدتيَ العجوز
يدعو بأن يهمي المطر
خطواتهم فوق القبور الصامتات وجدتي
تمشي أمام البيت تصرخ : يا غجر

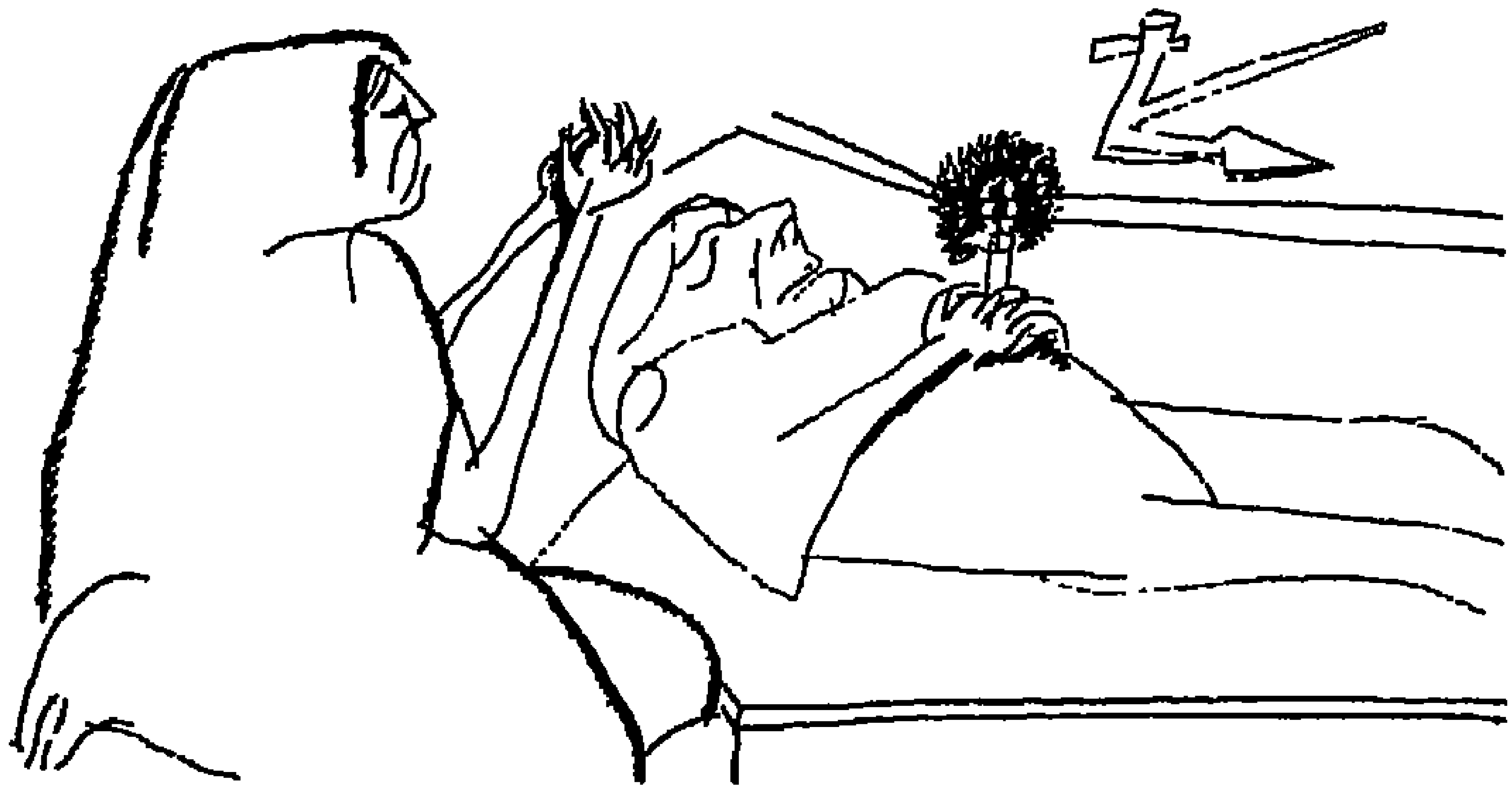

حتى القبور !!!!
يا أهل وادينا
ماذا بأيدينا
نبكي روابينا
لو تنفع الأشعار !!

ويردني شبح الشباب عن البكاء
مدُّ الغزاة يسير كالطوفان ...
لا تقف المدائن غاضبات !!
أو هكذا تمضي السنون تشيح جبهتها ...
كأنا لم نكن
شيئاً ولا كنا جبالا راسيات .
سرنا إلى البلد البعيد يحثنا الركب
وتركت ربعكم الحنون
حتى إذا سرنا إلى قمم الغيوم ....

بدت ديار القدس مسبلة العيون
«وتلفت القلب»

يا سروتين تظللان الشارع ...
المعهود فى أقصى الشمالْ
يمتد من باب المدينة راكضا حتى الجبالْ
متعرجات الخطو .. تمشى فى مساربها الثعالب
هتف اليمام على أعاليها وعششت العناكب
فى سقف كل مغارة تحمى جنود الإحتلال .
الآن أسمع فى الضحى نقر الدفوف
الغيث محتجب الهطول وشيخنا :
يا ربنا الجبار
قد أحرقتنا النار
فى أرضك الجرداء
ماتت أغانينا
فتهز أفئدة الصبايا البيض أوراق الخريف

ويمر تحت السروتين مغنّيا :
هل مر تحتكما أليفى ؟؟
يبكى وينشجُ دمعه
والريح تنشج والمطر
يهمى على القصر المنيف
هل مرّ تحتكما أليفى ؟

فى الليل يرتد البكاء المر منهمرا إلى صدرى
وأصيح طول الليل : يا دهرى
وطنى يضيع ولا أقول
آهٍ من الليل الطويل
لو كنت أملك أن يردا
« ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فردا » .

(١٩٦٨)

إلى جولى آندروز

« إلى . ن . ع »

تلفتُ حولى ودق المنبه يا حلوتى
تشير عقاربه الخضر للساعة الثامنه
أدرت المؤشر ... قلبي يدق
وقلبك - أقسم بالله سبعاً -
- وإن كان فى شارع النصر - ...
كان يدق .

وململمةُ صوتك ... كان يسرسب فى الأذن ...
فى عرق قلبى ... تطهر من ماء نهر بعيد
رميت بنفسىَ حيث استحم المسيحُ ...
وكنت صغيراً أخاف رصاص الجنود
نموت على الأرض حتى كبرت وجئت هنا
وليس هنا من أحدْ
وكان المذيع يقول « انتهى ... نلتقى بعد غد ».

أظل أهز كتابىَ والديك فوق السطوح
يقول لعينيك هلا استفقت ...
وأنتِ على البعد يا حلوتى
تنامين مسبلة العين فى حضن أملكِ ...
أمى تنام وتحلم فى أورشليم
ولم أرها منذ عامين ... لم أر وجهاً رحيم
سوى وجه راهبةٍ طفلة فى القلوب تقيمْ

(١٩٦٥)

يا عنب الخليل

سمعتكِ عبر ليل الحزن أغنية خليليه
يرددها الصغار وأنت مرخاة الضفائر ...
أنت دامية الجبين
ومرمرنا الزمان المر يا « حبرون »
يعز عليَّ أن ألقاك مسبيّه

سمعتك عبر ليل الصيف أغنية خليليه

تقول تقول : يا عنب الخليل الحر ... لا تثمر
وإن أثمرت كن سُما على الأعداء ... لا تثمر
لقد مات الرجال وشيخك الأعور
يصلى وهو رجس شيخك الدجال ... لا تثمر

غريب الدار يا حبرون
يظل يحوم فى البلد البعيد
لعل عاصفة حزاريه
تهب تذيب أفئدة جليديه
وحول مقابر الموتى
تظل تحوم طول الليل جنّيه
تغنى الليل : أحلام الثكالى والدجى المأفون
وتلعن من أطالوا الليل : يا « حبرون »

سمعتك عبر ليل الحزن أغنية خليليه
تصيح طوال جمر الصيف :

أبو الفقراء والأيتام مرّ يقول :
يا دين الحنيفيه
متى ترجع ؟
وهل فى القبر من يسمع !!
صراخ فؤادك المحموم
إذا الأحياء ماتوا فى ذرى « أربعْ »

سمعتك عبر ليل الصيف أغنية خليليه
تظل ترن خلف التل منسيه
إذا ما استنسمت ريحاً
« بوادى الجوز » غربيه
تظل تنوح ما ناح اليمام على
سواقى الحب فوق ضفائر الزعرور
وفى المذياع أصوات أثيريه :
خليلى أنت يا عنب ....
الخليل الحر ... لا تثمر .

(١٩٦٦)

موسى بن أبي الغسان

أهجنا الدموع غزاراً ....

على مفرق الدرب مات الشيوخْ

وجفت ضروع النساء

وأطرق شيخ القبيلةِ ....

والدمع ينساب أرضا وغمغم

« ورثت البلاد وسلمتها دون دم »

سيلعننى الصبية القادمون لدرب الحياة
ويرمونى بالحجارة لو كنت فى عصرهم .

وطالت شعور الصبايا ... لبسن الحداد
قضين الشهور بلا زينة ... دون زاد
حملن التشوق بين الضلوع ....
انتظرن المعاد
أدرن الخباء إلى الخلف أغلقن باب الرجوع
وأقسمن حتى يجىء الربيع
ربيع يصوغ الرجال بهاه
ربيع جديد
وفى أورشليم سمعت النشيد :
« أيا طفلة القصر هيا افتحى
فحمحمة الخيل سوف تهيجك ...
هيا افتحى
تباهين بالكحل فى جفنك الجارح

ونحن نباهى بأسيافنا »
بكينا .... ورثت البلاد وسلمتها ....

سوى فارس يحمل السيف فى كفهِ
ويمضى إلى حتفه
« إذا لم نجد من يسدّ الطريق
ويقهرهم فى الغداة
نسد الطريق بأجسادنا » .

وجاء الصباح وفى نبضه أزهر الصمتُ ...
فى عينه بهجة النصر ... كانت تجوم
رياح الصبا فى سما أورشليم .

(١٩٦٧)

بعد السقوط ..

« إلى . س . ه »

تدق الكف بالكفّ

وترسل زفرة حرى

فتنهّد الرمال الحمر فوق طريقنا الصيفى ... تندثرُ

ونحن نهشم البطيخ فى صحرائنا العطشى

تغطينا بأجنحة السراب المر من فمها

أيا فمها

كزهر شقائق النعمان فى الوادى

ترش السفح حمرتها ... وتنتحرُ
وينهمر السراب المرّ يا مصريةَ ....
العينين .... ينهمر .

سأرحل عنك بعد غد ولا أنسى
وهل أنسى ضفائر حبك المعهود والميدان
وشط النيل والساحات « والاورمان »
فكيف فكيف أنساكِ
ستنسى ... قلتها مره
ستصطاد الطيور وتكسر الجرّه
لتعلو فوق غيم رحيلنا تغفو
بجانبها وتنسانى
ترود خرائب الرومان
وتزعم أن ماء الصدق قلبك الولهان
وأنك شاعر إنسان
وأنك تعبد البارى

وأنك عامرى الحب والنار
ومن يدرى فقد تنسى وتنسانى

وتنفل شعرها تبكى
وتصرخ فى شراييني
ـ قصائدك الرقيقة لست أهواها
سأحرقها وأنتقمُ
فلست بحاجة لوريقة زرقاء
ويبكى النيل والجميز والهرمُ
ونحن نهشم البطيخ فى صحرائنا العطشى .

(١٩٦٥)

فى انتظار أبى

يعود أبى بعد عام
وأمى تثرثر عنه لنا
عن الريح والبرد الشتوىِ ...
يطقطق فوق زجاج النوافذ ...
يفتح فى الأرض نهراً من الحزن يغرق ....
مزرعة القرنبيط
ويمنحنا الخوف من رحلة المدرسة

وجاهدت الشمس فى شارع النصرِ ....
كى تستعيد صباها
تحدق فى حلقات الصبايا الرشيقاتِ ...
«كل تغنى على قيسها »
يدرسْنَ فى معهد للصغار ويسمعن أشهى القصص
روت جدتى قصة «كنت فيها التويج
وكنت السداه
ومرت على الحقل تمتص منه عصارة قلب الحياة
وما جمَّع الزمن المر من زهرة الخصب ...
تنتج منها أبى

أبى فى بلاد بكت « ماجدولين »
بها تحت ظل المنازل والزيزفون
يعود أبى بعد عام يغير ذاك المناخ
ويحمل فى جعبة فاخره
دواوين شعر لِ « جوته »

وقطعة حزن لِ « باخ
وأمى تصفف شعر الضفيره
تداعبنى أنت طفل غريب
يعود أبى بعد عام ... فآه
عرفت تذكرت قالت لنا قبل عام
« وها بقر الدير يرعى
سنابل زرعى ويرعى
حشيش التحسّر من جنته »
يعود أبى اليوم من رحلته
يعود أبى اليوم من رحلته .

(١٩٦٦)

الشعراء المشتركون فى هذا الديوان يتقدمون بثنائهم ولتقديرهم لاصدقائهم الفنانين التشكيليين صفوت عبـاس وسـيد عزمى ونبيل تاج وفتحى أحمد وسـعد حسن عبد العزيز لما قدموه من لوحات فنية لهذا الديوان .

الفهرس

صفحة

مقدمة ٣

● **محمد مهران السيد**

توطئة ٢٩

فقرات من مذكرات مبعثرة ٣٤

وسادة من خشب ٣٨

ثم ماذا ؟ ٤٥

بقبلة ودرهمين ٤٩

ما قالته الليلة الماضية ٥٣

ولكل وجهته ٥٧

اما هم ٦٠

يا وطنى ٦٦

عن الحب والمدينة ٧٢

● **حسن توفيق**

النجم فى الحدائق ٨١

من ليالى الفراغ ٨٧

شجن ٩٢

صفحة

الذبول ٩٦
حكايا الظلال ١٠٠
الرحيل ١٠٥
اغنية للصفاء ١١٢
الريح والضيف وانا ١١٦
حكاية النعامة ١٢١
اغنيـــة وداع ١٢٩
اغنية اغتراب ١٣٣

● محمد عز المناصرة

قفانبك ١٣٧
زرقاء اليمامة ١٤٤
رسالة الى فروتا ١٤٨
المقهى الرمـــادى ١٥٣
ذهب الذين احبهم ١٥٨
الى جولى اندروز ١٦٣
يا عنب الخليــل ١٦٥
موسى بن ابى غسان ١٦٨
بعد السقوط ١٧١
فى انتظار ابيه ١٧٤

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
بالقـــاهـــرة